نقد الشعر

خليفة الوقيان

كنت أود أن أقول كلمة عن نقد الشعر . وأشير الى الدور الذي يمارسه نقاد الصحافة في تمييع القيم الفنية ، وتزييف الحقائق ، واشاعة الانطباعات المزاجية ، التي لا تحكمها قاعدة موضوعية ، ولا يضبطها اعتبار سليم . الامر الذي أدى الى تراكم البضاعة الرديئة ، وضياع فرص ظهور العطاء الجيد.

وكنت راغبا في الاستشهاد بنماذج من الشعر ونقد الشعر مما ينشر في الصحف ، التي يتولى الاشراف على صفحات الادب فيها اناس يفترض فيهم ان يكونوا ذوي صلة متينة بما نصّبوا للقيام به . ولكن أبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، صاحب الموازنة طلب الي أن أفسح له المجال ، ليعرض لهذه المشكلة القديمة ، التي أرّقته قبل نحو الف عام ، فتحدث عنها حديثا دقيقا، يحسن أن نستمع اليه . وهئنذا اغادر هذه الصفحة ، لاتيح لابي القاسم مخاطبة قرائها اذ يقول :

« ثم ان العلم بالشعر قد خص بأن يدعيه كل احد ، وأن يتعاطاه من ليس من أهله . فلمَ لا يدعي أحد هؤلاء المعرفة بالعين والورق والخيل والسلاح والرقيق والبز والطيب وأنواعه ؟ ولعله قد لابس من أمر الخيل وركوبها والسلاح والعلم بذلك ، أو الرقيق واقتنائه ، أو الثياب ولبسها ، أو الطيب واستعماله اكثر مما عاناه من أمر الشعر وروايته ، فلا يتهم نفسه في المعرفة بالشعر تهمته اياها بالمعرفة ببعض هذه الاشياء مما عاناه وتناوله ، وما باله وقد ركب الخيل كثيرا لما راقه من الفرس ملاحة سبيبه ، واستدارة كفله ، وبريق شعره ، وحسن اشراقه ، وجودة خصره ، توقف عن ابتياعه حتى يشاور من يخبره عن عتقه ، وموضع نتاجه ، وصحة قوائمه ، وسلامة اعضائه ، وبراءته من العيوب الظاهرة والباطنة ... فكيف لم يفعل ذلك بالشعر لما راقه حسن وزنه وقوافيه، ودقيق معانيه ، وما يشتمل عليه من مواعظ وآداب وحكم وأمثال ، لم يتوقف من الحكم له على ما سواه حتى يرجع الى من هو أعلم منه بألفاظه ، واستواء نظمه ، وصحة سبكه ، ووضع الكلام منه في مواضعه ...

« وبعد ، فلم لا تصدق نفسك أيها المدعي ، وتعرفنا من أين طرأ عليك العلم بالشعر ، أمن اجل ان عندك خزانة كتب تشتمل على عدة من دواوين الشعراء وانك ربما قلبت ذلك أو تصفحته، أو حفظت القصيدة أو الخمسين منه ؟ فان كان ذلك هو الذي قوى ظنك ، ومكن ثقتك بمعرفتك ، فلمَ لا تدعي المعرفة بثياب بدنك ، ورحل بيتك ونفقاتك ؟ فانك دأبا تستعمل ذلك وتستمتع به . ولا تخلو من ملابسته . كما تخلو في كثير من الاوقات من ملابسة الشعر ودراسته وانشاده ، حتى اذا رمت تصريف دينار بدراهم أو تصريف دراهم بدينار ، أو ابتياع ثوب أو شيء من الآلة لم تثق بفهمك ولا علمك، حتى ترجع الى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ؟ ولمَ لما خفت الغبينة في مالك فأذعنت وسلمت واقررت بقلة المعرفة ، ولم تخش الغبينة والوكس في عقلك فتسلم العلم بالشعر الى أهله ؟ فان الضرر في غبن العقل اعظم من الضرر في غبن المال ...

« ثم اني أقول بعد ذلك : لعلك ــ اكرمك الله ــ اغتررت بأن شارفت شيئا من تقسيمات المنطق ، وجملا من الكلام والجدال . أو علمت ابوابا من الحلال والحرام ، أو حفظت صدرا من اللغة ، او اطلعت على مقاييس العربية ، وانك لما أخذت بطرف نوع من هذه الانواع معاناة ومزاولة ومتصل عناية فتوحدت فيه وميزت ظننت أن كل ما لم تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجري ذلك المجرى ، وانك متى تعرضت له ، وأمررت قريحتك عليه نفذت فيه ، وكشفت لك معانيه ، وهيهات ! لقد ظننت باطلا ، ورمت عسيرا ، لان العلم ــ أي نوع كان ــ لا يدركه طالبه الا بالانقطاع اليه ، والاكباب عليه ، والجد فيه والحرص على معرفة اسراره وغوامضه ، ثم قد يتأتى جنس من العلوم لطالبه ويتسهل عليه، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ، لان كل امريء انما يتيسر له ما في طبعه قبوله ، وما في طاقته تعلمه . » .

الأدب ودور الأدباء

في الكويت



عبدالله زكريا الانصاري

يدور جدال هذه الأيام على أقلام بعض الأدباء والكتاب حول الأدب في الكويت ، وهل يؤدي دوره على الوجه الاكمل . فمن الأدباء من يعتقد أن الأدب لا يؤدي دوره على الوجه المطلوب في الوقت الحاضر ، ومنهم من يعتقد ان الأدب يؤدي دوره كاملا وكما هو مطلوب، ولهؤلاء وجهات نظرهم ، ولأولئك حججهم ، وكل منهم يأتي بمبرراته التي يعتقد بها .

لكن ترى هل يستطيع الأدب أن يؤدي دوراً اكثر من دوره ؟ وهل يقدر الأديب ان يبدع إبداعا اكبر من حجمه ؟ ثم هل درس هؤلاء واولئك الأسباب التي ادّت إلى قصور الأدب عن اداء دوره ، أو ادت إلى القيام بدوره على الوجه الأكمل ؟

لا شك أن هناك أسباباً وظروفاً تطرأ على الأديب والشاعر احيانا فتدفعه إلى العطاء ، واحيانا أخرى تدفعه إلى الخمول ، ومهما كلّف الأمر فإن الأديب والشاعر لا يملكان أن يقدما لمجتمعهما إلا ما يقدران عليه ، وكل إناء بالذي فيه ينضح ، فالإناء المليء بالماء ينضح ماءً ، والإناء المليء باللبن ينضح لبناً وهكذا الشاعر والأديب ، إنهما يعطيان بقدر ما يمتلئان به . قد يعيق الشاعر او الأديب بعض العوائق البيتية أو المكتبية الأمر الذي يؤدي إلى الحد من نشاطه ، وهناك بعض الأدباء والشعراء من شبابنا في الكويت ، عندما توكل اليهم بعض المهمات ، أو يضطلعون ببعض المسئوليات المكتبية الهامة ، تراهم يعطون لهذه المسئوليات والمهمات ما يملك عليهم كلّ وقتهم وجهدهم، وهذا ينعكس على نتاجهم وعطائهم ، قد يحدّ منه كثيرا ، وقد يحدّ منه قليلا ، وذلك يرتبط بنوع المسئوليات والمهمات التي يضطلعون بها ، واعرف بعض الأدباء المبدعين في أدبهم والذين يعطون عطاءً جيدًا ما ان تسنموا هذه المهمات والمسئوليات حتى وجدنا عطاءهم يقل ، ونتاجهم يضعف ، إن ذلك يتعلق بنوعية الأديب وحساسيته ، وشعوره بالمسئولية .

هناك من الأدباء من لا يعطي وظيفته حقها من الواجب ، فنراه موظفاً يعدّد اياماً ويقبض راتباً كما يقولون ، ومنهم من ينسحق انسحاقا في اداء واجباته الوظيفية على الوجه الأكمل . هذا حدّ من نشاطه الأدبي صدق إحساسه في عمله ، وذاك حدّ من نشاطه في عمله اندماجه الكلّي بمحيطه الأدبي . ذلك قصّر في وظيفته ، واهمل مسئولياته ، وهذا دفعه إخلاصه في عمله إلى القصور أو الحد من نتاجه الادبي .

بعض الأدباء يؤمنون بالتفرغ ، ويرون فيه مجالاً واسعًا للنتاج والعطاء ، ولست على كل حال من هؤلاء ، فالعمل الوظيفي لا يقتل الإبداع الفني لدى الفنان ، إلا إذا كانت عناصر الفن لدى هذا الفنان غير

متكاملة . إن العمل الوظيفي قد يحدّ من نتاج الفنان وعطائه ، لكنه لا يقتله ، فالفكرة الأدبية التي تختمر في ذهن الأديب أو الشاعر ، لا بدّ أن تخرج ، ولابد للشاعر أو الأديب أن يفرغها عندما يحين وقتها ، قد يعطّل العمل الوظيفي خروج الفكرة بعض الوقت، لكنه لا يقضي عليها ، وإذا ما ماتت الفكرة في ذهن الفنان ، أو الاديب أو الشاعر ، فإنها تكون ناقصة غير مكتملة ، وطافية غير راسخة في وجدانه .

إن التفرغ قد يفيد صاحب المشروع الأدبي الكبير الذي يحتاج إلى وقت واسع ، ويحتاج إلى صفاء ذهن وهدوء بال ، وقد يقول قائل إن العمل الأدبي يحتاج قطعًا إلى صفاء ذهن وهدوء بال ، ونحن معهم في هذا القول ، لكن صفاء الذهن وهدوء البال يوجدان في ذهن الأديب والشاعر وفي وجدانهما ، ولا يمكن لضجيج العمل المكتبي ، اي الوظيفة ، أن يؤثر عليهما. وأعرف أديبًا كبيرًا وكاتبًا عملاقا ، لا تستهويه الكتابة إلا في ضجيج الحياة وبين صراخ الناس وصخبهم ،يروح هذا الكاتب في أحد مقاهي المتبة الخضراء في قلب القاهرة ، وحيث يمتلىء هذا المقهى بأفواج الناس الذين يلعبون لعبة الطاولة و « الدومنو » ويدقونها على الطاولات دقاً عنيفاً ، والجدال بينهم على أشده ، وضجيج « الترام » والسيارات على مختلف أشكالها وألوانها يصم الآذان ، وحركة الناس بالغة . يقعد هذا الكاتب في هذا الصخب فيكتب أروع قصصه ومسرحياته ويكتب أحياناً اجمل رواياته وارق اشعاره .

إن الصخب والضجيج إنما هما في ذهن الكاتب والأديب والشاعر ، ولهذا فإن بعض الأدباء أو الشعراء ينأون بأنفسهم عن صخب الحياة وضجيجها ويجلسون في اماكن يلفها الهدوء والسكون المطبق فلا يستطيعون أن يكتبوا شيئا ، شعرًا كان أو نثرًا ، والسبب أن أذهانهم مليئة بضجيج الحياة ، مشغولة بصخبها ، إذن فالصخب والضجيج يوجدان في ذهن الفنان ، شاعرًا كان أو كاتباً ، وليس فيما يجري حوله .

إن الشاعر أو الاديب يستطيع أن يجد الوقت الذي يكتب فيه أو يبدع ، والإبداع يأتي عن طريق امتلاء النفس بمختلف المعاني . إلا أننا نستدرك الأمر فنقول إن هناك من الأدباء والشعراء من تسند إليهم مهمات كبيرة ومسئوليات بالغة وتكون طبيعتهم الوفاء والصدق والإخلاص فتأخذ عليهم كل وقتهم ، عملاً متواصلاً مكررًا ، وقد يبدعون في عملهم هذا ويطورونه ويتقدمون به لكن هذا العمل مهما بلغ لن يستطيع أن يقتل فيهم ما امتلأت به قلوبهم وعقولهم ووجدانهم من فكر أدبي أو فكر فني ، يظل هذا الشعور في كيانهم حتى ساعة ولادته ، وحين يأتي الوقت المناسب لخروجه .

ويبقى السؤال قائما ، هل يؤدي الأدباء دورهم على الوجه الأكمل هذه الأيام ؟

يختلف الناس مذاهب شتى ، يعارضون ويوافقون، يختلف بعضهم ، ويتفق البعض الآخر ، والواقع يفرض نفسه ، والحقيقة تبقى على ما هي عليه ، والأدباء يعطون بقدر ما يملكون ، والظروف والأحوال موجات متتابعة ، تمد وتسقي أحيانا ، وتجزر وتثبر أحيانا اخرى ، وهكذا يمضي كل في طريقه ، وقد يكون المعارضون على صواب ، وقد يكون الموافقون على حق .

إن وجهات النظر تتبادل الآراء والأفكار ، قد تصيب وقد تخطيء ، وقد يحتدم الجدل ، ويشتد النقاش ، لكن الواقع يبقي واقعًا ، والظروف تهيّيء الأديب والشاعر ، وتدفعهما إلى أداء دورهما على الوجه الأتم ، وقد تؤدي بهما إلى الخمول والجمود ومن ثم إلى عدم العطاء .

لكن ما هي هذه الظروف التي قد تصور للبعض أنها دعوة إلى الاتكال ؟ والظروف التي نعنيها هي التي تفرض نفسها فرضًا على الأديب والشاعر والفنان ، أما الاتكال فقد تخلقه الظروف ، ولكنه علة تصيب الإنسان فتقضي عليه ، والأديب أو الشاعر أو الفنان الذي ينتظر الظروف لتدفعه إلى العطاء ليس فناناً أو شاعرًا أو اديبا ، لأن هؤلاء الذين نعنيهم هم الذين يجري دم الأدب في عروقهم ، ويفيض في وجدانهم ، ويملك عليهم شعورهم كما كررنا القول ، ومثل هؤلاء لا يتكلون على الظروف لتسيرهم حسب مشيئتها . إن الظروف التي نعنيها هي التي تفرضها الأيام على هؤلاء الفنانين ، تفرضها عليهم في وجدانهم وفي مشاعرهم بل وفي افكارهم .

يأتي الأديب أو الشاعر ليصور ما امتلأت به نفسه فتلح عليه فكرة خلقتها الظروف خلقا ، وهي بعيدة كل البعد عن تصوره الأدبي ، فتسد عليه فكره، وتقفل قريحته ، وتملأ قلبه وعقله ضجيجا يسد عليه منافذ فكره فيبقى حبيسا لا يستطيع الانطلاق الى خياله الواسع الرحب ، هذه ظروف .

ويأتي الاديب والشاعر ليصورا ما امتلأت به نفساهما فيجدان أمامهما الرعب والخوف اللذين قذفا في نفوسهما من تكبيل الحرية وفُرِضا فَرْضًا على الفكر، وهذه ظروف .

إنها ظروف تأتي على أشكال مختلفة ، لكنها ظروف تحدّ من العطاء والإنتاج ، وتعرقل الأديب أو الشاعر فلا يستطيعان القيام بدورهما على الوجه المطلوب . وهناك ظروف تأتي عكس هذه الظروف ، تفتح الطريق واسعًا أمام الفكر ليبدع ويقوم بدوره

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المطلوب . هي ظروف كلها ، تفرضها الأحوال ، وقد يخلقها الأديب والشاعر خلقا .

الأديب والشاعر اللذان يتمثل فيهما روح الفكر الصافي ، وتجري في عروقهما دماء الأدب الرفيع ، هما اللذان يعطيان ما شاء لهما العطاء ، ويبدعان ما شاء لهما الإبداع ، وليس من السهل على الأديب أو الشاعر ، أن ينتج أدباً وشعراً وهو بعيد كل البعد عن الحوافر التي تدفعه إلى الانتاج .

ويظل السؤال قائما ، هل يؤدي الأدباء في الكويت دورهم على الوجه الأكمل هذه الأيام ؟

ولعل الذين يوجهون هذا السؤال ، ويرددونه على مسامع الأدباء والشعراء في الكويت ، يدوّي في أفكارهم ضجيج النشاط الرياضي ، وتسابق أجهزة الإعلام على اختلاف أنواعها وأشكالها على هذا النشاط، لأنه نشاط موجّه ، مغرق بأنواع التشجيع ، سواء كان ماديًا أو أدبيًا . والتشجيع الموجّه المدروس له تأثيره الفعال ، لا شك في ذلك ، ولا جدال عليه ، والذين لا يرون هذا الرأي ، يتغافلون عن الحقيقة والواقع . والذين يقيسون النشاط الأدبي بالنشاط الرياضي في أحكامهم ، لا بد أن يجدوا أن ميزان النشاط الرياضي في الكويت يرجح ميزان النشاط الادبي .

انهم لا يقيسون المردود، بقدر ما يقيسون ظواهر النشاط . والنشاط الفكري له مردوده على الفكر والعقل .

إن الإنتاج الفكري لا بد أن يكون إنتاجاً محدوداً عندنا في الكويت ، إذا ما كنا نريد له دورا واضحا كبيرا مؤثرا ، والذين يتساءلون عما إذا كان الأدباء يؤدون دورهم على الوجه الأكمل هذه الأيام ، هم على حق . لأن الوصول إلى مثل هذه النتيجة لا بد أن تسبقه مقدمات وحوافز ، فالحوافز المعنوية ، وكذلك الحوافز المادية لها تأثير كبير على الإنتاج ، فأينت هي الحوافز المعنوية ، وأينت هي الحوافز المادية بالنسبة للأدباء إذا ما قورنت بتلك الحوافز المنصبة على الرياضيين ؟ إن من الإجحاف أن نقول بأن نوعية الناس من الرياضيين غير نوعية الناس من الأدباء والمفكرين . هناك من يقول ذلك ، ويوجّه اتهامه إلى الأدباء لأنهم لم يؤدوا دورهم على الوجه الأكمل ، إذ كيف لهؤلاء الأدباء أن يؤدوا دورهم على الوجه الأكمل المطلوب وهم لا يجدون الأسباب التي تمكنهم من ذلك ؟

هناك من يقول إن الحرية متوفرة ، فلماذا القصور في أداء الواجب ، لكن أي نوع من الحرية التي تحلق بصاحبها وتدفعه إلى القيام بدوره على الوجه الأكمل المطلوب ؟ إن الحرية لها جناحان إنْ قصصت أحدهما تعثّرت ، ولم تعد قادرة على التحليق . وكيف تريد للحرية أن تحلّق بصاحبها وأنت تقص احد جناحيها ؟ .

هناك من الناس من يمسك بالحرية فينتف ريشها ، أو يكتف أحد جناحيها ، أو يعيث ببعض قوادمها أو ببعض خوافيها ، ثم يطلقها ، ويدّعي أنها طليقة حرة تطير كيف تشاء ، وتتحرك كيف تشاء ،وهذا ينطبق على أولئك الذين يدّعون إطلاق الحرية للناس ، لكنهم يفتحون الأبواب على مصاريعها لفئة منهم يختارونها ، ويضيقون الأبواب على فئة أخرى ، ويمدّون تلك بالمقومات ، ويحرمون منها هذه ، ويقولون إن الحرية مكفولة للجميع ، لكن الغلبة لأولئك ، وهم على حق ، أما هؤلاء فليس لهم صوت مسموع .

إن الأدباء مقصّرون في أداء واجبهم على الوجه الأكمل إذا ما قيسوا بغيرهم من الناس الذين تدفعهم الحوافز المادية والمعنوية دفعا لا شك في ذلك ، ومن الظلم الفادح أن نلقي باللوم كلّه على كواهلهم ، دون أن ندرس المسبّبات التي جعلتهم يتعثرون في القيام بدورهم على الوجه الأكمل . ومع ذلك فإن عطاءهم وإن كان ضعيفًا ، له وزنه وتأثيره ، لأنه عطاء فكري، ينبع من الوجدان .

إن الادب يعطي ويبدع بما يملكه من طاقات ، والأدباء ينتجون بقدر ما يملكون ، وبقدر ما يتمتعون به من حرية لا تشوبها شائبة ، وللحرية شوائبها ، ولها عيوبها كالطير الذي يفقد بعض قوادمه أو بعض خوافيه فالحرية المشوبة بالشوائب حرية ناقصة لا تدفع بصاحبها إلى الأمام والطير المصاب بقوادمه أو خوافيه طير ضعيف الطيران لا يستطيع التحليق بعيدا في الفضاء .

والخلاصة أن الادباء يعطون بقدر ما يملكون من عطاء ، وينتجون بقدر ما يدفعهم إلى الانتاج من حوافز، ويؤدون دورهم كاملا بقدر ما تتوفر لهم من ظروف وأسباب مادية ومعنوية .

والأدب عطاء فكري ينمو ويزدهر حسب بيئته التي يتغذّى منها ، ويأخذ عناصره ، وحسب الوعاء الذي يضمه وينمو فيه ، وحسب التربة التي يترعرع فيها .

فمن الأدباء من يحلّقون بفكرهم ويأتون بكل بديع مدهش ، ومن الأدب ما يسمو بالفكر ويدفعه الى الإبداع .

عبد الله زكريا الانصاري

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نونية





شعر
محمد
احمد
المشاري

يتذكر الشاعر بقصيدته هذه أيام الماضي حيث البساطة في العيش ، وحيث عقد الحياة لم تأخذ مأخذها في النفوس ، كما هي عليه اليوم .

ثم يتذكر أيام الربيع ، وكيف كان الناس يحتفلون به ، ويستمدون منه قوتهم العقلية ، ونشاطهم الفكري، تماما مثلما يستمدون منه راحة أبدانهم .

وبعد هذا وذاك يعرج على مستوى الادب في الوقت الحاضر ، ويخص من الشعر الذي تدنى مستواه، وفقد أو كاد يفقد أصالته ، بعد أن تخلى عن موسيقاه وايقاعه ونغمه الجميل .

لَكَمْ طـابَ عيشٌ واسْتُحِبّ مثـابُ
ببيـداءَ فيهـا راحـةٌ ورِحـابُ

جلا الهمَّ عنا جوُّهـا وصفاؤُهـا
وبـدرٌ يُجَلّي ليْلَهـا وشهـابُ

واطْيبها للنفسِ عيشُ خشونـةٍ
وذاكَ لداءِ المترفـين طبـابُ

لنا الافـقُ مرعـى والأديـمُ مجالسٌ
وأقدامُنـا عنـدَ المسـيرِ ركـابُ

تذكّرنـي عهـدَ الأبـاةِ مضـاربٌ
وإنْ لمْ يكـنْ في عهدِهـنَّ ضـرابُ

ولم تَحْـمِ عـزًّا لا يهـونُ أسنّـةٌ
ولـمْ يحْوِ بأْسًا لا يليـنُ قـرابُ

ولمْ تَمْتَطِ الخَيْـلَ الجيادَ فَـوارسٌ
همُ العرْبُ أقْحـاحٌ وهنّ عـراب

اذا راقَ سلـمٌ فالمـروءةُ والنّـدى
وإنْ جدَّ بأسٌ فاللّيـوثُ غِضـابُ

وما كانَ سيـفُ الهندِ للهنـد مجـدُهُ
ولكـنْ لمَـنْ في الحـرْبِ ليسَ يهابُ

ولو لمْ تكـنْ تلكَ النّفوس مواضيـًا
لمـا أسْعفتْهـا أدْرُعٌ وحِـرابُ

ومالي وللذّكـرى تفيضُ بخاطـري
أيَرْجـى بهـا للذّاكريـنَ ثـوابُ

فتشـرقُ اشراقَ الربيـعِ مكـارمٌ
ويخضـرُّ للمجْـدِ المـرومِ يبـابُ

ويا حـبّذا فصـل الرّبيـع معانقـا
بطاحـًا بهـا شـوقٌ لهُ وعتـابُ

كأنّ البراري حـين شابَـتْ تخضّبتْ
وزادتْ فللزهـْـرِ الجميـلِ تـلاب

كأنـي بهـا الطـيرُ الطليـقُ تُحِلّه
على الرّحبِ منها ابْطـحٌ وشِعـابُ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ترافقُنـــي في كـــلّ يومٍ خليلـــةٌ (١)
فيبهـــجُ منهـــا مطلـــعٌ وغيـــابُ

أرى خفـــرًا منهـــا بكـــلّ تحيـــةٍ
فليسَ بتكـــرارِ اللقـــاءِ يـــُذابُ

لها الحسنُ لم يُمْـــزَجْ بإخلافِ مَوْعِـــدٍ
وكمْ ذاتُ حسنٍ بالصدودِ يُشـــابُ

إذا ودّعتني ودّعـــت قلـــبَ واثـــقٍ
فمـــن شأنها بعـــدَ الرّحيل إيـــابُ

ويصحبُنـــي بعضَ اللّيالي مؤانســـًا
صديـــقٌ لـــهُ زُهـــرُ النّجوم صِحابُ

يبادرنـــي بالمـــزْحِ حينـــًا فيخْتفي
ويظهـــرُ حينـــًا والغيومُ حجـــابُ

لنا في سُكـــونِ اللّيلِ والكونُ هاجِـــعٌ
أحاديـــثُ في شتّـــى الشّجونِ عذابُ

سرىٰ البعضُ منهـــا عن أديبٍ مزيّفٍ
وعـــنْ أدبٍ بالطارئينَ يُصـــــابُ

فمَنْ ونى في السّيرِ واحتـــارَ خطوه
تُوَقّـــى جبـــالٌ أشرفتْ وهضـــابُ

فيلجـــأُ للسّهْـــلِ الخفـــيضِ كلالـــةً
ويدنـــو لان العاليـــات صعـــاب

فنسمـــع محض اللغـــو منه كأنمـــا
يصفّـــرُ بـــومٌ أو يطِـــنُّ ذبـــابُ

وقيلَ هـــوَ الشّعرُ الحديثُ وقوْلُنـــا
هيَ العقـــمُ والعجـــزُ الحديثُ جوابُ

تشجّعـــهُ فيمـــا يقـــولُ صحافـــةٌ
وما هيَ اذْ تجْلـــو الغثيثَ صـــوابُ

اذا هزلَ الرّاعـــــي تدنّـــت رعيـــةٌ
وأُشْـــرِعَ بابٌ للهزيـــلِ وبـــَـــابْ

ولسْنـــــا بعيّابـــينَ مَنْ لمْ يكُنْ بنـــا
أديبـــًا ولكـــنّ الدعيَّ يُعـــابُ

يقالُ لـــه هـــزءًا به أوْ جهالـــةً
فيفـــرحُ ممّـــا قيـــلَ وهـــوَ كـــذابُ

ويُثْنـــى عليـــهِ في النّـــوادي فينْتَشِي
ويمـــلأُ عُجْـــبٌ نفْسَـــهُ وعجـــابُ

يكـــذّبُ فيـــــهِ مَخْـــبَرٌ وكفـــاءةٌ
ويصْدُقُ منـــهُ مظهـــرٌ وثيـــابُ

وما هَمّنا إنْ قيـــلَ عمـــرو ذؤابـــةٌ
وما ضَرّنـــا إنْ قيـــلَ زيـــد لبـــابُ

ولكنّـــهُ أمـــرٌ يُضِـــلُّ حضـــارةً
كمـــا قدْ يُضِلُّ السالكـــينَ ســـرابُ

ومن لمْ يكُنْ عـــدْلَ الموازين مُحْكمـــًا
تساوتْ لديـــهِ ريشـــةٌ وعقـــابُ

فـــوا أسفـــًا كـــمْ قد تناثَرَ لـــؤْلـــؤٌ
وصُنِّـــفَ في عليا الرّفـــوفِ تـــرابُ

محمد أحمد المشاري



(١) المقصود بالخليلة ، الشمس

خاطرة

هذا المثقفُ العربيُّ ما بالُه !؟ ... يدور الفلك وهو واقف . ما سمعناه قال شيئا ، ولا رايناه يفعل شيئا !! فاغراً فاهُ ومواكبُ الآلامِ تَتْرى امامَ ناظريْه . شارداً لا يَعي . جامداً كجلمود صخرٍ لا يتحرك .

ما اباسَه ! ولا اظن مخلوقاً هو اكثرُ بؤساً منه على ظهرِ هذا الكوكب .

لا سماءَ له ولا ارض !! لا ابوّةَ تُظِله ولا امومةَ تعله وتقله .

يلتفت يميناً ويلتفت شمالاً دون هدف ... زائغَ البصر ، متكدرَ النفس . قلق . ممزق الداخل ، متجهم الظاهر . لا يدري أين يضع قدمَه ، ولا اين يُرسل بصرَه ، ولا الى أين يوجّه عقلَه وقلبَه .

لا قِبْلةَ له ، لذا لا مسندَ له يَحميه .. يُغلّفه الزيْف ، ويخدع نفسَه بزيف.فهو من زيف الى زيف .

لا يقول صادقاً ، ولا يصدق مؤمناً . وانما يُدفَع الى الصدق دفعاً احيانا ، كما يُدفع الى الكذب في كثيرٍ من الاحايين .

يتبنّى مواقفَ لا يؤمن بها لئلا يُرمى بجهلٍ او بلا انسانية ، ويَلبس ثيابَ غيرِه ليُحكى عنه انه تقدمي ..

سبحانَ الله ! يعرفك جيداً وتعرفه جيدا . بيد ان كليكما مضطرٌ للكذب على صاحِبه . كانَّ الكذبَ مُباح ، والصدقَ غيرُ مباح .

أعنْ جهلٍ حديثُه وغباء ؟

أم عن خديعةٍ ودهاء ؟

أم انه كاذبٌ مصنوع !؟

ومراوغٌ مصنوع .

أم انه كلُّ هذا جميعاً او بعضُ هذا .

رفقاً يا معشرَ المثقفين بعقولِكم . ورفقاً بوجدانِكم .

ماذا ستقولون لأجيالِكم القادمة ؟ . « اذا كشف عن ساق » . يا مَن انتم عصارةُ هذا الجيل .

اكذبوا على انفسِكم ، زَيِّفوها ، لكي لا تسمعَ نداءَ الضميرِ ولا تَعي .

حَبْلُ الكذبِ مقطوعٌ وإنْ طال .

ولكنَّ الصدقَ وإن ضرَّ ظاهراً فهو ذو نهايةٍ سعيدة ، وذو غايةٍ لا ينتهي أمدُ مردودِها الحسنِ عليكم وعلى اجيالِكم القادمة . « وقل اعملوا ..... » .

« خ . س . ز »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مدخل لدراسة الحياة الادبية في قلب الجزيرة العربية

الشعر





٢

بقلم
ابراهيم
عبدالله
غلوم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يشكل فن الشعر في هذا العصر الجانب الاكبر من الحياة الادبية ، فالشعر في جميع فترات التاريخ العربي ظل محتفظا بمنزلته الرفيعة وبمكانته الكبيرة بين جميع فئات المجتمع العربي ، فهو ديوانهم الذي يحتفظون به ويودعونه شتى منازعهم واخلاقهموهمومهم في الحب والحرب والبغض والسعادة والشقاء والخير والشر وجميع ما يحيط بهم في مناحي حياتهم العامة .

وقد تنبه لذلك نقاد العرب القدماء مثل الجاحظ وابن رشيق وابن الاثير وغيرهم ، فوقفوا عند اهمية الشعر العربي ونوهوا بذكرها في كتبهم ورسائلهم .

وفي هذه الفترة التي نعنى بالبحث عنها من تاريخ ادب قلب الجزيرة العربية برز فن الشعر وتقدم جميع فنون النثر الاخرى وذلك باعتباره الشكل الادبي الاحب والارحب والاوفق بتلك النفوس التي فطرت على حبه والتناغي بأبياته وبمعانيه ، من اجل ذلك وجدنا العلماء والادباء يقبلون بحماس شديد على جمعه وروايته وتدوينه حتى ان علماء الدين والمتصوفة ادلوا بدلوهم في فن الشعر فرأيناهم ينظمون القصائد والمقطوعات والبيت والبيتين .

كذلك فان علماء اللغة والدين كثيرا ما نظموا المسائل الدينية واللغوية بالشعر وهذا امر معروف مشهور بين علماء العربية قاطبة ، واكثر من ذلك فانا وجدنا ادباء قلب الجزيرة العربية قد انكبوا انكبابا على الشعر العربي القديم الجاهلي والاسلامي ، واخذوا يتفحصونه ويشرحونه ويتمثلونه بكل عناية واهتمام ، وكان منهم من يشرح ديوانا كاملا كما فعل الاديب محمد كبريت الحسيني عندما شرح ديوان ابن الفارض ، كما ان منهم من يشرح القصائد الطوال ينتقيها من بين روائع الشعر العربي كما فعل عبد القادر الطبري المتوفى سنة ١٠٣٣ هـ عندما شرح قصيدة للمتنبي سماها « الكلم الطيب على كلام ابي الطيب » ومن ادباء هذا العصر ايضا من عمد الى بعض القصائد المشهورة فركب لكل صدر منها عجزا ولكل عجز منها صدرا كما فعل الاديب تاج الدين ابن احمد المتوفى ١٦٥٥م مع لامية العرب للشنفرى .

وكثير من ادباء قلب الجزيرة العربية من شغف بعلم العروض والقوافي فراح يصنف في تلك رسائل عديدة كما فعل الاديب عبد الرحمن المرشدي المتوفى

١٦١٧م حيث شرح كتاب « الكافي في علم العـــروض والقوافي » .

كل ذلك يدل دلالة واضحة على مدى استحواذ فن الشعر لادباء قلب الجزيرة ومدى اهتمامهم واحتفالهم به مما جعله الفن الاول من بين فنون الادب في تلك الفترة .

هذا عن منزلة الشعر بين سائر الفنون .. اما عن طبيعته وتطوره في نواحيه الفنية واتجاهاته بـــين التقليد والتجديد ، فيمكننا ان نقول بانه في تطوره لـــم يتخذ خطوات تؤدي به الى الانتقال بقدر ما استرجع من سيره خطوات ادت به الى الارتداد وقد ادى هذا بطبيعة الحال الى تخلخل الناحية الفنية وضعفهـــا والنزول بها الى ادنى درجات الضعف والانحلال التي مر بها الادب في قلب الجزيرة العربية ، كما ادى ذلك ايضا الى ارتطام النزاعات التجديدية واندحارها ثـــم تلاشيها ازاء الهيمنة التقليدية الرهيبة التي استقطبت جميع اشكال الادب في هذه الفترة .

هذا بينما كانت البيئات العربية الاخرى كمصر والشام تعيش ازدهارا وتطلعا مستمرا في فنون الادب المختلفة وبالاخص في الشعر ، الامر الذي جعل العالم العربي في هذه الحال المنقسمة المنشطرة اشبه ما يكون بكفتي ميزان ارتفعت احداهما وارتفعت وهي ما تمثلها مصر والشام . بينما انحطت الاخرى وضعف امرها وهي ما تمثلها الجزيرة العربية .

على انه رغم ذلك فقد عرف هذا العصر شعراء انتعشت بهم الحياة الادبية واومضوا فيها وميضا سرى خلالها كالدم المتدفق الذي انهضها وبعث فيها روحا متحركة اجهضت بذلك السكون وكسرت ذلـــــك الثبوت .

ومما يلفت النظر ان امثال هؤلاء الشعراء ظهروا في اوائل هذه الفترة التي تمتد ما بين القرن العاشر والثالث عشر الميلاديين ، وفي اواخرها ايضا حيث القرن التاسع عشر ، وكأن من ظهر في اوائل الفترة يمثلون بقايا المجد الادبي القديم بينما يمثل من ظهر في القرن التاسع عشر ارهاص النهضة الادبية الحديثة وميلاد طالعها الاول ..

وهناك شاعران يمثلان لنا هذين الوجهين ، اما الاول فهو الشاعر الفحل على بن مقرب العيوني المتوفى سنة ٦٢٩ هـ واما الثاني فهو الشاعر ابراهيم بن حسن الاسكوبي المدني الذي يعتبر بحق من رواد التجديد في الشعر لما كان لديه من روح عربية متوثبة ولتأثره بطلائع الحركة الفكرية والادبية في العالم العربي .

★★★

مظاهره الفنية

لم نجد في الفن الشعري في هـــذا العصر ثراء وتعددا وتنوعا في اساليبه وفي اصوله الفنية التي ينشدها الشاعر من جهة والمتلقى من جهة اخرى ، وذلك علـــى الرغم من الامتداد الزمني الطويل لواقع الحياة الادبية الذي من شأنه أن يعطينا صورة غير الصورة التي نراها ونكتشفها بما هي عليه من نسق متحد وافقية مسطحة تتقطع في انفاسها لاهثة لا تتدفق فيها الحياة بقـــوة ونضار وعطاء .

ولعل هذه الظاهرة من ابرز مظاهر الضعف في ادب هذه الفترة ، وان كنا نستشف من ذلك أوائلها التي برز فيها العيوني مع شعراء اخرين وجدنا عندهم لونا من الادب يختلف اختلافا كبيرا في جزالته ووضوحه عما جاء به الادب في القرون التي اعقبتها وسنرى ذلك في الحديث عن الشاعر على بن المقرب العيوني .

والان بامكاننا ان نتحدث عن اوضح المظاهر الفنية في شعر هذه الفترة :

الصنع البديعي .. والاقتناء اللفظي

ليس مذهب الصنع البديعي جديدا على هـــذا العصر ، فقد برز الاهتمام به منذ القرن الثالث الهجري، بل انه استقل كفن خاص له قواعده واصوله ، وذلك بفضل ابن المعتز الذي الف فيه كتابه « البديع » ثم جاء بعده الادباء وعلماء اللغة فنهجوا نهجه وتوسعوا فيه ما شاءوا .

وفن البديع فن جميل عندما ينبعث مـــن النفس الشاعرة في سجيتها وطبيعتها ويكون معبرا تعبـــيرا صادقا عما في نفس الشاعر او الكاتب ، فتكون لـــه بذلك مبررات نفسية موضوعية وفنية دعت الى هذا التكتيك البديعي . وهكذا كان احتفال الشعراء بـــه في اول الامر ، غير انه بعد ذلك ، وبعد ان اســـرف البلاغيون في اهتمامهم وتوسعهم وتقعيدهم له ، انحرف عن وجهته تلك ، وبدأ يستغل لاشياء اخرى بعيدة عن سمات الادب الجيد .

واستفحل هذا الامر في عصور الضعف الادبي ، حيث اصبح البديع عملية لفظية مجردة من الصـــدق والرواء ولا تنطوي الا على برقشة زائفة تتلاشى ازاءها المعاناه الفنية وتبقى تصنعا بديعيا وتلاعبا لفظيـــا ، وفوق ذلك فانهم قد جعلوا مقياس الفصاحة والبـــلاغة في تفوق الشاعر او الكاتب في التصنيع البديعي وما اشبهه .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد وجدنا شعراء قلب الجزيرة العربية يسلكون كل ذلك ويتخذون منه مذهبا ادبيا يترسمونه ويهتدون به وهذا ما قيد شعرهم وجعله يرسف بانواعه واشكاله المختلفة، وبسبب ذلك وجدنا الابداع الشعري يضعف حتى وصل الى درجة من درجات الاضمحلال .

وانواع البديع كثيرة من طباق وجناس وتورية وتطبيق وانسجام وتضاد وغيرها من الانواع التي ذكرها ابن المعتز وغيره من البلاغيين العرب ، وهذه كلها قد غصت بها اشعار الشعراء في هذه الفترة لكثرة احتفالهم واهتمامهم بها كما ذكرنا ، وقد لاحظ ذلك النقاد المعاصرون فنبهوا اليه مثل ابن معصوم في كتابه سلافة العصر الذي كثيرا ما أشار الى انواع البديع في شعر الشعراء الذين يؤرخ لهم .

وكما كثرت البديعيات عند شعراء مصر والشام كذلك كثرت البديعيات عند شعراء قلب الجزيرة العربية ، فوجدناهم يضعون البديعية ويضعون شرحا ايضا ، بل ويشرحون بديعيات اخرى كما فعل علي ابن محمد تاج الدين القلعي المتوفى سنة ١٧٥٨م الذي وضع شرحا على بديعيته وشرحا اخر على بديعيتين لاستاذه وشيخه عبد الغني النابلسي ، وقد حفلت اشعار علي بن محمد القلعي بزخم من المحسنات البديعية ، وبكل انواع الجناس من جناس مضمر الى لفظي الى مطلق الى تام الى مفروق .

ويضيق مجال بحثنا عن ذكر نماذج كثيرة حول هذه الظاهرة لذلك سنقتصر على بعض النماذج ..

يقول علي بن محمد ابن فرحون اليعمري المتوفى سنة ١٣٤٥ م

قد طال هذا العهد يا سيدي
فانظر لمقصودي وكن مسعدي
انت صلاح الدين حقا فكن
صلاح دنياي التي تفتدي
بدات بالاحسان فاختم به
يا خاتم الخير ويامبتدي

ويقول الشاعر حنيف الدين المرشدي :

امسى واصبح من تذكركم وصبا
يرثى لي المشفقان الاهل والولد
قد حدد الدمع خدي من تذكركم
واعتادني المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم
وخانني المسعدان الصبر والجلد
لاغرو للدمع ان تجري غواربه
وتحته المظلمان القلب والكبد
كانما مهجتي شلو بمسبعة
ينتابها الضاريان الذئب والاسد
ولم يبق غير خفي الروح في جسدي
وذلك الباقيان الروح والجسد

ويقول شهاب الدين المرشدي :

افق الشداد بدت به
شمس الخلافة والهلال
ومن العجائب جمعه
ليث الشرافة والغزال

وواضح جدا من هذا المقطوعات الشعرية الثلاث مدى احتفال الشعراء الثلاثة بألوان البديع ومدى حرصهم على تزيين ابياتهم الشعرية بالتراكيب البديعية والالفاظ المنتقاة .

التكلف في استخراج المعاني والصور

وكما سيطر التصنع والانتقاء اللفظي على ادب هذا العصر فقد دخل التكلف في صناعة الشعر خاصة وتخلله حتى عاث فيه وأفسدها فسادا ، اذ انه من الطبيعي جدا أن الاديب عندما يعطى انتاجا من غير أن تكون في داخله صورة حقيقية صادقة لطبيعة ما يعانيه ويعتمل في نفسه فان انتاجه سيخرج في اطار لا تحكمه عناصر الاكتمال الفني وسيكون بالضرورة ممثلا لضعف وقصور الاديب .

وهذه الظاهرة المتصلة بطبيعة العمل الفني تعتبر عاملا هاما من عوامل ضعف ادب الشعر في قلب الجزيرة العربية ، وهي لم تظهر فيه الا من جملة اسباب اهمها : ـــ

ـــ سيطرة مذهب الصنع البديعي ، كان مبعثا لتكلف معظم الشعراء ، وذلك لان رعايته تستتبعها رعاية تراكيب والفاظ محددة معينة يفتن بها الشاعر فيقع في قيودها ومحدوديتها ، وبالتالي يتكلف ما شاء من استخراج الصور رعاية لالوان البديع .

ـــ وللاتجاه التقليدي اثره ايضا ، فالشعراء في هذه الفترة ، ارادوا احياء الشعر العربي واعادة مجده القديم فاتجهوا الى تقليد القدامى في مذاهبهم الشعرية وتصوروا أن الاهتمام بالصنع البديعي والالفاظ الغريبة، وما أشبه ذلك سيحقق لهم ما ارادوا تحقيقه ، في حين ان التقليد في مسلكه هذا افة من افات الادب .

ـــ كذلك فان كثيرا من الادباء من كان عالما في الدين او اللغة او المنطق ، وكان معظمهم من غلبت عليه صفة العالم او المؤرخ ، فكان سهلا عليهم ان يدخلوا النظم في مسائلهم الفقهية او الوعظية او اللغوية وكانوا يكتبون القصائد او المقطوعات او المراسلات الشعرية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في مناسبات مختلفة ، وهذا ما جعلهم يبتذلون بفن الشعر وينزلون به الى مستوى التكلف والتصنع ، فالعالم حين يكتب الشعر يختلف اختلافا كبيرا عن الاديب الشاعر حين يكتب الشعر .

ومن صور تكلف الشعراء قول ابراهيم بن حسن الاحسائي المتوفى سنة ١٠٤٨ هـ .

ولاتك في الدنيا مضافا وكن بها
مضافا اليه ان قدرت عليه
فكل مضاف للعوامل عرضة
وقد خص بالخفض المضاف اليه

ومن ذلك ايضا قول عبدالله بن سعيد بن عبد الله باقشير المتوفى سنة ١٦٥٦ م : —

جاذبتها طرف الحديث مفاكها
فأبت سوى التهديد والتعنيف
ورجوت منها الوصل لمحة ناظر
لافوز بالتكريم والتشريف
فكأنها التنوين رام اضافة
للصرف او لازمة التعريف

الاحتفاظ بمنهج القصيدة العربية

وقد اشرنا منذ قليل ان شعراء هذا العصر قد حاولوا كثيرا في اعادة المجد الادبي القديم لقلب الجزيرة العربية عندما كان فن الشعر له الصولة الكبرى فيها ، وقد كان هذا من واقع احساسهم بالتخلف الادبي الذي كانوا يعيشونه ، وقد انصبت معظم جهودهم في الاتجاه نحو تقليد الادب القديم ، غير ان اعتباطية التقليد الذي نهجوه وعدم تمثلهم الصحيح للادب العربي القديم كانت من اهم اسباب انحطاط الادب في عصرهم .

وقد دعاهم التزام التقليد الى الامتثال لمنهج القصيدة العربية التقليدية بشكلها المعروف والاحتفاظ بعناصرها الفنية ، لذلك لم نجد من حاول الخروج من اطار التقليد سواء في الاوزان او القوافي او في شكل القصيدة من حيث اغراضها ومضامينها ، فقصيدة المدح تبدأ بالاطلال والتشبيب والتغزل ثم تعرج لذكر الممدوح وتهيل عليه من اوصاف المدح ما شاءت ، وكذلك في الرثاء وفي سائر الاغراض الاخرى ، وظل هذا ديدن الشعراء في هذا العصر ولم ينحرفوا عنه ابدا .

التضمينات والمعارضات — والتشطير والتخميس

وقد شاعت هذه الظاهرة في ادب الحواضر العربية قاطبة في فترة الدول المتتابعة الى اواخر العهد العثماني وبدء النهضة الادبية الحديثة .. وعلى الرغم من اقبال الكثير من الشعراء واستئناسهم بمثل هذه الصناعة في الشعر ، الا انها في الحقيقة لم تخرج لنا بفن شعري جيد ينطوي على قيم فنية يمكن لها ان تدفع بفن الشعر وتحرك عجلته نحو الامام .

ذلك ان الشاعر حين يتبع هذه الطريقة التي لا تمت بصلة لقضية الصدق الفني لا من قريب ولا من بعيد .. أقول : حين يتبع الشاعر مثل ذلك يفتقد عنصرين هامين جدا وهما :

— الشخصية الادبية التي تنمحى ازاء عمليات لا تعدو أن تكون تصفيفا وتلاعبا واجترارا .

— عنصر الابداع والابتكار في العمل الشعري .

وكلما أسرف الشعراء في تضميناتهم ومعارضاتهم وتشطيرهم وتخميسهم كان ذلك دليلا على ضعف وجمود ما يعطونه من ادب ، وهذا ما وضح لنا في شعر قلب الجزيرة العربية . فقد كثرت فيه هذه الظاهرة واحتفل بها الشعراء وكأنها عنصر فني يزدان به الشعر وترتفع قيمته .

والحقيقة ان اقبال شعراء قلب الجزيرة العربية على هذه الظاهرة لا يفسره الا ما قد قلناه سابقا من انهم ارادوا اعادة الشعر العربي الى مجده القديم، فعز عليهم أن يتخلف الشعر في بلادهم وهي التي تعتبر المنبع الاول والمورد الصافي للشعر العربي ، لذلك وجدوا في تضمين المعنى او الفكرة او الشطر من البيت .. وفي معارضة روائع الشعر العربي وتشطيرها وتخميسها .. سبيلا من سبل أحياء المجد الذي ارادوه، لذلك فنحن لا نستغرب أبدا شيوع هذه الظاهرة .. ذلك لان ظهورها يعتبر تعبيرا حقيقيا عن طبيعة الادب وقيمة في ذلك العصر .

ومن المعارضات قصيدة لسالم بن ابي بكر بن شيخان عارض بها كافية البهاء الحارثي يقول مطلعها :

فاح عرف الشميم من ناديك
يا زعيما على الانام مليك

وشهاب الدين المرشدي نظم قصيدة في مدح سلطان الحرمين الشريف سعود وهي قصيدة طويلة قال عنها صاحب سلافة العصر « وهذه القصيدة تجارت في مضمار معارضتها ادباء العصر فمنهم من نكث على عقبيه ومنهم من فاز بالنصر » .

وعبد الرحمن المرشدي له معارضات كثيرة اشهرها قصيدته التي عارض بها قصيدة لابن هانيء المغربي وامتدح فيها الشريف مسعود ، كذلك عبد الملك العصامي لا تجده في شعره الا مقتبسا او مضمنا او معارضا ، كما انه ينظم المسائل العربية في شعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

موزون ، وكذلك ابنه الشيخ حسين بن عبد الملك ، وللنظر الى تأثير ابن المعتز في قوله مقرظا رحلة محمد كبريت الحسيني :

جمعت في رحلة انشاتها اربا
وكان من قبل فيه اي تشتيت
وقد اقر لك الراوون حين بدت
تميس في حلتي در وياقوت
لا تعجبوا ان حلت عنكم غياهبكم
فانها جذوة من نار كبريت

كذلك يمكن ان نشتم روح المتنبي وابي تمام في شعر محمد بن سعيد باقشير في مثل قصيدته التي مدح بها احمد بن مسعود ، وهي قصيدة جيدة قل فيها التكلف وابتعد بعض الشيء عن الاغراق في المحسنات . يقول فيها :

اومادروا ان الجمال حبائل
ما أن يصاد بهن غير الصيد

كذلك قوله في قصيدة اخرى :

رب قلب قد تاه فيها فلم
يدر حسيسا ولم يمل للميس
ظل فيها في جحفل من سرور
وخميس يلقى الاسى بخميس

وهناك شواهد كثيرة على هذه الظاهرة يطول هذا البحث بايرادها .

اغراض وفنون الشعر

تنوعت اغراض الشعر وفنونه في ادب قلب الجزيرة العربية في هذا الفترة ، كما كان في عصور الازدهار الادبي ــ الاموية والعباسية ــ غير أن بعض الاغراض والفنون ازداد الاهتمام بها وكثر نظم الشعر فيها ، وبعضها الاخر قل الاهتمام بها وانصرف الشعراء عنها اللهم الا قلة قليلة .

وربما كان على راس الاغراض التي اتسع الاهتمام بها « المدح » مدح الامراء والاعيان والعلماء والنبي صلى الله عليه وسلم وال الحسين ، ويمكننا ان نقول بأن كثرة المديح قد اقتضته ظروف العصر ونظمه السياسية والاجتماعية ، فقد كثرت الامارات وتعددت اطرافها في قلب الجزيرة العربية كما كثرت الحروب والمشاحنات والاضطرابات وكان الامراء يجدون في التفاف الشعراء من حولهم امرا ضروريا لا غناء عنه لتسجيل امجادهم في حروبهم وقوتهم وفضلهم الذي يحيطون به الرعية من حولهم ، وكل ما يتصل بحياتهم من صغيرة وكبيرة فكل هذا ادى الى كثرة المديح في ادب هذا العصر وربما يكون افضل ما جاء به المدح في شعر قلب الجزيرة العربية انه سجل الاحداث الكبرى وصور الاضطرابات السياسية التي يكون للامراء دور فيها كما انه اعطانا جانبا من طبيعة الحكومات السياسية في ذلك الحين ، وان كنا نجد في كثير من الاحيان مبالغات في اوصاف المدح تصل الى درجة التكلف .

كذلك انتشر من بين فنون الشعر في هذا العصر ، الوعظيات والقصائد ذات الطابع الديني والمعاني الاسلامية الخالصة ، ويدخل في ذلك ايضا مدائح النبي واهل البيت والتوسلات والمناجيات الروحية ، وهذه الانواع المختلفة من الشعر الديني تستلفت النظر حقا، ويتصل امرها بغلبة الاتجاه الديني المحافظ في جميع العلوم والفنون ، وسيطرة العلوم الدينية وامتزاجها بالحياة الادبية وبروز التصوف ، وسلوك بعض الادباء لبعض طرقه .

ويتصل بذلك ايضا قيام بعض الدعوات الاصلاحية ذات التاثير الكبير في الحياة السياسية والاجتماعية مثل دعوة محمد بن عبد الوهاب التي استطاعت ان تستقطب كثيرا من الادباء والعلماء اليها .

كل هذه الامور ادت الى تطور الشعر الوعظي الديني حتى اصبح احد الاغراض المعروفة .

وربما يكون قد ساعد على تطوره ايضا ، اضطراب الحياة السياسية بسبب النزاع المستمر وسوء الحياة الاجتماعية في مختلف مظاهرها وتدهور الاوضاع الاقتصادية وجثوم الخطر على البلاد من قبل الطامعين وانتشار قطاع الطرق وخاصة في مواسم الحج ، وغير ذلك من الامور التي ساءت بالبلاد مما جعلت الناس تتجه الى الله وتتشفع بنبيه الكريم وتتكل على ما يأتي به القدر من مصاب او من فرج .

وبذلك عمق الشعور الديني وانطبعت به جميع جوانب العصر ، واصبح الشعراء يتأملون هذه الحياة الغريبة بروح اسلامية خالصة جعلتهم يصدرون من شعرهم حكما ومناجيات ووعظيات وتوسلات وما اشبهها .

كذلك عرف هذا العصر اغراضا اخرى كالفخر والرثاء والغزل والوصف ، ومن شعر الغزل قول علي ابن عبد القادر الطبري من شعراء القرن السابع عشر الميلادي :

غيداء كالبدر بليل التمام
غادرني الحب لها كالغلام
رشيقة الاعطاف كالغصن كم
رمى بقلبي ظروفها من سهام

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجـدهـا روض وفي ثغـرهـا
بالمرشف الالعس كم مـن مدام
يكاد بـدر التم من فـرعهـا
يخفى اذا لاحت لـه بالظـلام
هي التي مـن بـين كـل المها
هام بها قـلبي بوادي الغـرام

وحتى الغزل بالمذكر وجدنا من كتب فيه .. كقول تاج الدين بن احمد المالكي :

الا انمـا الياقوت احسن جوهر
واحسن منـه في البرية ياقـوت
على انه قوت القلوب باسرهـا
الم تر كل الخلق يدعوه ياقوت

شاعر المجـون في قلب الجزيرة العربيـة يتصور سـقوط الكعبـة

هو من شعراء القرن السابع عشر الميلادي حيث كانت الجزيرة العربية تحت نفوذ الخلافة العثمانية وقد اطلقت عليه شاعر المجون لاني لم اعرف شاعرا طوال الفترة التي اعني بالبحث عن حياتها الادبية ، وفي هـذه البيئة المحافظة من ملكت عليه النزعة الرافضة الماجنة ، مثل هذا الشاعر وهو .. ابراهيم بن يوسف المهتـار المكي الذي سلك سبيل الشعراء الخمريين الذين عرفتهم البيئات العربية الاخرى ، والذين اتخذوا من المذهـب الخيامي والسلوك النواسي اسلوبا لحياتهم الاباحيـة الماجنـة .

وقد وجدنا شاعرنا يردد افكارا كثيرة تحمل نظرتهم للحياة وفلسفتهم فيها من ان الحياة قصيرة علينا ان نروي غلتنا من كؤوس لذاتها ولا نضيعها في الالام والهموم التي تطول معها ايامنا وتضيع سدى ، غير ان هـذا الشاعر يختلف عن الشعراء المجونيين الذين عرفتهـم البيئات الاخرى في ان لديه قبسا تفاؤليا دائما ما يختتم بـه قصائده ومقطوعاته ، ويتجلى فيه ايمانه برحمة الله وغفرانه للذنوب مهما عظمت ولننظر اليه في شيء مـن شعره :

فبـادر الانس يـا نـديمـي
وقـم الى اللهـو والتصـابي
اعطر زمـان الشـباب حظـا
فلـذة العيش في الشبـاب
واجسر ولا تياس يومـا
مـن رحمـة الله في الحسـاب

وله خمريات اخرى ايضا .. كما ان له قصيدة رائعة رغم ان معاصريه قـد هاجموه من اجلها وتعنتوا عليه ، ووصفوه بكل الاوصاف الدنيئة كابن معصوم في سلافـة العصر .

وفي هذه القصيدة تصور الشاعر سقوط بيت الكعبة واهتزاز الارض من تحتها ، وخوف الناس وانصداع احشائهم ، وشرود البابهم ، فالاركان قد هوت والاستار مزقت والاثار الظاهرة عفت .. وتصويره لكل ذلك في هذه القصيد مثير حقا ، يدل على قدرة الشاعر علـى التصوير وعلى مدى انفساح خياله ، وحسه الشعري .

والقصيدة تحمل فكرة الشاعر ونظرته في الحياة التي تحيط به ، فهو قد تصور سقوط البيت والكعبة لانه احس بفظاعة ما جلبه الدهر من النوائب ، وما اتت به الدنيا من المنغصات والعجائب التي لا تقوى العقول علـى تصورها ، كما انه احس بقسوة الحياة وتموجهـا بالاضطرابات المستمرة التي لا يمكن ان يقومها مقـوم يقـول فيها : —

واي دهر لقينا من نوائبـه
ما لو على الشامخات الشم لانسربت
انا الى الله من دنيـا منغصة
ايامهـا مستردات لمـا وهبت

ثم يستمر في تصويره لخراب الدنيا وانصـداع الدهر الذي جعل قواعد بيت الله تموج وتضطرب من هولها واستفحال شررها ، وكأن الساعة قد اوشكت ان تقترب فالشاعر لا يتصور سقوط البيت من خـلال نظرة اعتباطية الحادية ، وانما يتصور ذلك مـن واقع نظرته التأملية في الحياة .. ولننظر اليه وهو يبكـي ويذرف الدمع يتلهف على هذا الحدث الجلل الذي شيد ربوع الحزن : —

فاي عين على ما كان ما انسكبت
واي روح لمـا قد صار ما وصبت
لهفى على كعبة الله التي افترقت
احجارها بعدما في حبها اصطخبت
لهفي على تكلم الاركان كيف هوت
وكيف اوهت حصاة القلب اذ قلبت
لهفي على تكلم الاستار كيف غدت
ايدي سبا وبوحل السحب قد سحبت
لهفي على تكلم الاثار كيف عفت
وكيف سادت ربوع الحزن اذ ضربت

هكذا كانت نظرة الشاعر في قصيدته التي هاجمها معاصروها ولم يلتفت اليها احد من الباحثين بينما هي تمثل في نظري شهادة شاعر على عصره .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ظاهرة الشعر النبطي

في الحقيقة ان ظهور هذا اللون من الشعر يستحق دراسة خاصة لمظاهره وسماته الفنية ودوره واتصاله بالبيئة وصلته بالشعر الفصيح ، الى غير ذلك من الامور التي تتصل بفنية هذا اللون .

ذلك ان هذا الشعر ما زال يواجه اغضاء وازدراء من المهتمين بالادب والذين يرون فيه نزولا وانحطاطا ادبيا ، لا لشيء سوى انه قد جانب في اسلوبه قواعد اللغة العربية السليمة .. وهم يقولون ذلك من غير ان يكلفوا انفسهم عناء دراسته او حتى قراءته ، ذلك ان من يطلع على هذا اللون من الشعر يجد فيه مظاهر فنية رائعة لم يستطع كثير من شعراء اللغة الفصحى ان يحققوها في شعرهم في الفترة التي ظهر فيها هذا اللون من الشعر .

وهذه المظاهر تتصل اكثر ما تتصل بحسن التصوير ودقة التسجيل وجمال المعاني وصدقها ،وصفاء الروح الشاعرية وروائها وقوتها ، فكل هذه العناصر الفنية قليلا ما كنا نجدها في اداب هذا العصر بينما هي ظهرت في هذا اللون من الشعر الذي بعثت به البيئة البدوية والحياة الرعوية والذي وجدناه يقوم خير قيام بالتعبير عنها في صدق وصفاء لا يمكن ان يتطرق اليهما افراط وتكلف بأي شكل من الاشكال ، حتى صار بمثابة صحافة يومية تسجل احداثها وقضاياها .

وقد قوي هذا الشعر في نجد خلال القرن التاسع عشر بفضل ال القاضي الذين برز منهم اربعة شعراء يكادون ان يمثلوا في تسلسلهم وفي ثقافتهم وفي خصائص شعرهم مدرسة ادبية خاصة .. يأتي على رأسها محمد ابن سعيد القاضي .

وقد ولد هذا الشاعر في عنيزه ، وحفظ القرآن وقرأ الفقه من العلماء ومال الى الادب والتاريخ ، وانكب على نظم الشعر النبطي واجاد فيه حتى جاء شعره ممتازا بالجزالة والجودة التي تذكرنا بالشعر الجاهلي في اصالته وقوة تعبيره وصدق تصويره ، وذلك لتشابه طبيعة الحياة وسيادة الروح البدوية في محيط هؤلاء الشعراء .

وقد خلف هذا الشاعر اربعة شعراء في هذا اللون وهم عبد العزيز وسليمان وحمد وابراهيم وكلهم يشتركون في الخاصية السابقة وفي خواص اخرى اهمها .. ان اسلوبهم النبطي قريب الى حد ما من اللغة الفصحى اذا ما قيس بأسلوب غيرهم من شعراء النبط .. وربما كان ذلك لقرب عهدهم من عصر العربية الفصحى ، ولتأثرهم بالثقافة القديمة ، فهم قد درسوا الفقه والقرآن والادب والتاريخ .

وخاصية اخرى يشترك فيها ال القاضي .. وهي ان شعرهم النبطي تشيع فيه روح الحكمة وتنتشر فيه المعاني الرفيعة ، ولننظر الى قول محمد بن سعيد القاضي :

الصبر محمود العواقب فعاله
والعقل اشرف ما تحلت به الحال
والصمت به سر سعد من ناله
والهذر به شر وشوم وغربال
واشرآفات الفني البخل بماله
واشر منه المطل في كل ما قال

ومثال اخر لسيادة روح الحكمة في شعر القاضي : —

الى ابصرتبالدنيا تكدر لي الصافي
تعذر زمانيما حصلصاحب صاف
افيضعليه اسرار ما التجبالحشا
وكل شعيب له مفيض الى طاف
ومن عاش ماله في زمانه منادم
تجرهم عمى راية علىجرفميهاف

كذلك نجد الشاعر ابراهيم بن محمد القاضي يحتفل في شعره بروح الحكمة رغم كثرة غزلياته الشاكية الباكية التي تنعى عليه نفسه في عدم حصوله على مطالب قلبه المفجوع .. يقول في احدى قصائده النبطية :

دنيا بها الملاق يحظى بمطلبه وابن الحمولة بالذراسا هجينه

وقد كنت اود لو اني وقفت اكثر مع اشعار ال القاضي وغيرهم من شعراء النبط لكي يتسنى لنا ان نكشف المظهر الفني الجميل لهذا اللون من الشعر الذي نرجو ان يأتي اليوم الذي يحظى فيه بما يستحقه من الدراسة .

★★★

نزعات نحو التجديد

لكي نضع هذه النزعات في موضعها وفي اطارها الزمني والمكاني المحدد يمكن لنا قبل كل شيء ان نقسم الفترة التي نعنى بالبحث عن حياتها الادبية الى ثلاثة اقسام .

١ — أواخر العصر العباسي .
٢ — عصور الدول المتتابعة .
٣ — العصر التركي حتى نهاية القرن التاسع عشر

وبدء النهضة الادبية في قلب الجزيرة العربية التي يؤرخ لها دوما في مطلع القرن العشرين .

ويمكن ان نقول في ضوء هذا الاطار بان ملامح التخلف الادبي قد برزت بشكل واضح في جميع هذه العصور كما سبق ان تحدثنا عن ذلك ، ولكن رغم هذا فيجب ان نعرف بأن روح العصر في جميع عصور التاريخ البشري تأبى ان يكون ديدنها تخلفا مستمرا ، اي انه مهما كان المجهول ومهما كان الظلام فلا بد من انشقاق خصاصات بسيطة تبعث بصيص الضوء والاشعاع ، وفي قلب الجزيرة العربية رغم وجود عناصر الضعف والتخلف الادبي الا انه وجدت بعض النزعات التي حاولت ان ترتفع بمستوى الادب وتعطيه من روحها ما يبعث فيه الحركة والنشاط .

والحقيقة ان هذه النزعات التي برزت نحو التجديد لم تكن تمثلها حركات فكرية ادبية لها دعائمها واسسها ، وانما كان يمثلها عدد من الشعراء الموهوبين الذين اتاحت لهم قدرتهم الشعرية ومنزعهم الحسي الادبي الى ان يتجاوزوا مقاييس العصر ويتخطوا حدوده وتقاليده الادبية وهذا هو السبب في ان هؤلاء الشعراء لم يمتد تأثيرهم الى ابعد من عصرهم الذي عاشوا فيه . بل ان تأثيرهم ذهب بذهابهم كما ان نزعاتهم التجديدية البيئات العربية الاخرى التي انتشرت فيها هذه الفنون وممن برز فيها عيسى بن سنجر بن بهرام الاربلى وله ديوان شعر رقيق جمع فيه انتاجه الشعري في جمع الفنون التي قل من يحسن فيها في عصره خلال القرن الثالث عشر الميلادي من عصور الدول المتتابعة ، وان كان شعراء الحواضر العربية قد وصلوا الى درجة كبيرة في هذا المضمار .

كذلك ممن كتب في الموشحات ابو الفضل بن محمد العقاد المكي ، وقد ذكر له صاحب نفح الطيب عند حديثه عن موشحات اهل العصر قوله وهو يمدح السلطان منصور :

بهتت شيئا فشيئا ولم يقدر لها ان تنمو وتنقل .

ومن مظاهر التجديد في شعر قلب الجزيرة العربية ..

— الاحتفاظ بطابع الشعر العربي الاصيل وبعناصر الجزالة والقوة فيه وقد وجدت هذه النزعة في الفترة التي شهدت اواخر العهد العباسي واضمحلاله ويمثل هذا الطابع الشاعر الاحسائي على بن المقرب العيوني الذي سيأتي الحديث عنه .

— استخدام فنون شعرية مستحدثة كالموشحات والدوبيت والمواليا ، وذلك تأثرا واقتداء بالشعر في

ليست شعري هل اروى ذا الظما
من لمس ذاك الثغر الالعس
وترى عيناي ربات الحمى
باهيات بقدود ميس
فلقد طال بعادي والهوى
ملك القلب غراما واسر
هد من ركن اصطباري والقوى
مبدلا اجفان عيني بالسهر

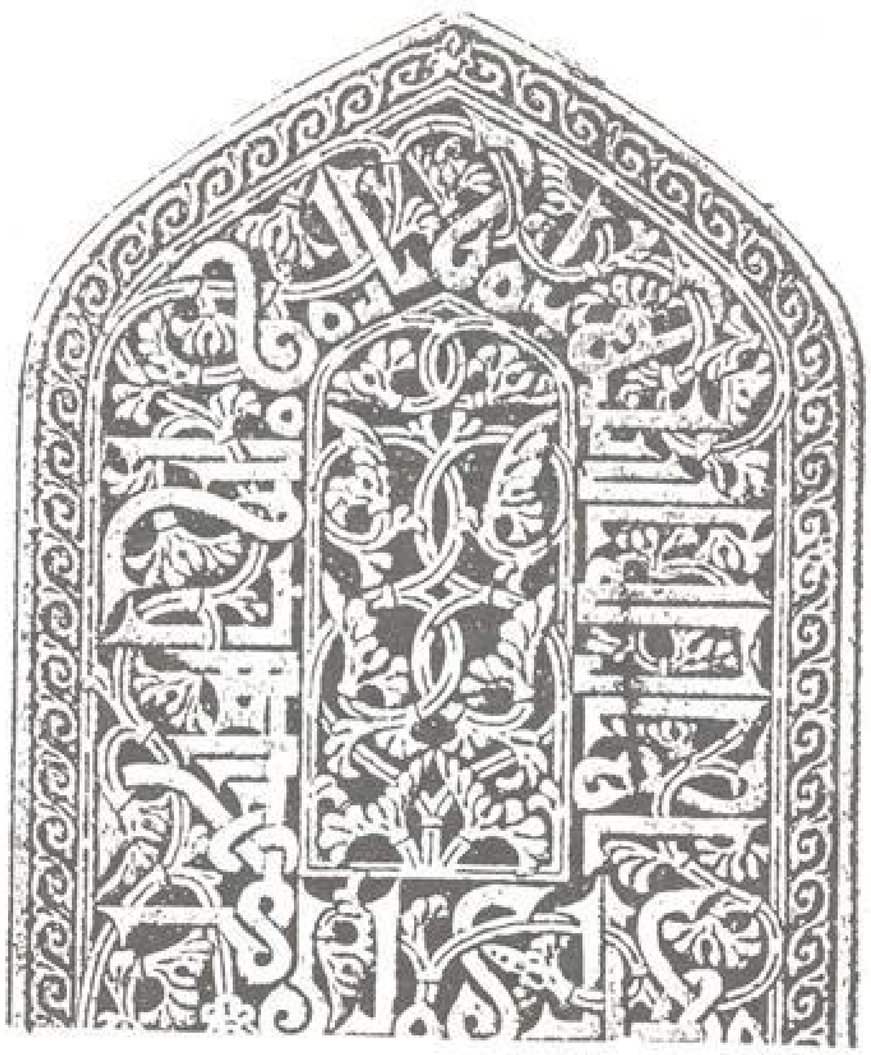
الى اخر الابيات ...

وهي رقيقة الالفاظ سهلة المعاني واضحة الاسلوب لا يبدو فيها ذاك التكلف الذي نجده كثيرا عند شعراء العصر .

— محاولة تحرير الشعر من ربقة المحسنات ومن غريب اللغة وزخارفها ، وهذه المحاولة ليست الا تعبيرا عن الكبت والهيمنة التي فرضها مذهب الصنع البديعي والانتقاء اللفظي ، وممن ارتفع بشعره في هذه المحاولة الشاعر الاحسائي ابو البحر جعفر بن محمد الخطي من شعراء القرن السابع عشر الميلادي في عهد الاتراك وكذلك بعض شعراء القطر الحجازي .

— الاهتمام بوصف واقعات الحياة التي تتصل اكثر ما تتصل بحياة الانسان نفسه وقد وجدنا هذا النزوع عند محمد بن سعيد باقشير ، وجعفر بن محمد باعلوي البيتي السكافي وكذلك جعفر الخطي والاول من القرن السابع عشر والثاني من القرن الثامن عشر من فترة العهد التركي .

« للبحث صلة »



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« الحدائق ما احتوتني »

شعر
عبد اللطيف محمد الدلكان
الزبير - العراق

عند باب الحضرة الحامل اسماء قدامى العاشقين
كان قلبي مزهريه
غرست فيها الحدائق
زهرات الكبر لم تنبت ، ولكن جرحت مثل النصال
رقة الطين وطيب المزهريه

★ ★ ★

ان عينيك الحـــدائق
يطلع الكبر بها وشما على اذرعه الزهر ،
ومغلوق بوجه الغرباء ، بابها ليل نهار
وانا القادم من خلف الحرائق
من وراء المدن المانحة النفي ، ووجهي سحنة الاثل ، وقلبي حمرة الجوري
مغسولا بظل النخل ، قلبي مدن عـــاشقة مفتوحة ابوابها ليل نهار
فادخليني واسكنيني او دعيني عبر عينيك اقاتل
شبح النفي واغفـــو
وخذي كحلا لعينيك سواد العـــين . مولاتي الصبايا الاجنبيات يساومن على لون عيو
قلن لي : « يا ايها القادم من ارض بها
الحب شهادة
وفناء وعبادة
بع لنا لون عيونك . »
قلت : عبر البحر قرب النهر تحت النخل سمرائي التي تملأ حلمي
قلت : سمرائي التي تملأ حلمي
والتي ان وعدتني صدقت
او تكن انتظرتني اوقدت
نخلها طول ليالي الانتظار

★ ★ ★

وجهك المجبول من لون الندى والاثل في كل المنافي جاءني .. طاردني .. قاتلنـــي
مت اشتياقا بين عينيك التي ما هادنتني .
« ومن شاء فلينظر الي فمنظري نذير الى من ظن ان الهوى سهل»

★ ★ ★

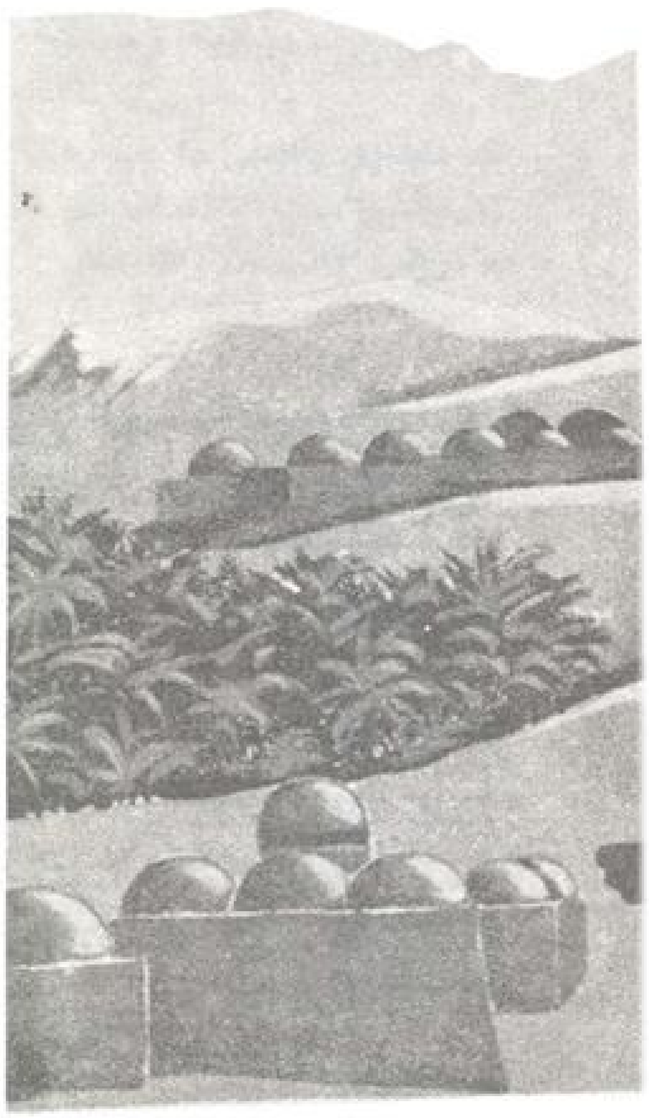
ليس بيني والتي احببتها فاصلـــة او بيننا اسلاك ، انـــا
وطن فرد وحب واحد لكنني مغترب فيها ، بعيد وقريب
انا منفي بها قاتل نفيي

★ ★ ★

كنت طريدا والحدائق ما احتوتني

★ ★ ★

انني منقسم بين رحيلـــين : اليها ، وبعيدا لمسافات الحرائق
ان عينيك الحرائق
ان عينيك الحدائق
وانا القادم من خلف الصحارى ، من وراء المدن المانحة النفي
فادخليني واسكنيني
او دعيني عبر عينيك اقاتل
شبح النفي واغفـــو .... استريح



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



فهد العسكر:

عشق الشاعر من الحسناء المتمنعة الى الحكمة الخالدة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم: طارق عبدالله

فاتحة:

كثرت في السنتين الاخيرتين الدراسات عن فهد العسكر، وابرزها الدراسة القيمة للاستاذ علي زكريا الانصاري والدراسة القيمة للدكتور محمد حسن عبدالله. وهذه الموجة من الاهتمام لها ما يبررها، خاصة انها تسعى لالقاء مزيد من الضوء على حياة العسكر من خلال فنه، وعلى شعره من خلال رد فعل مجتمعه وبالعكس. ولست احاول هنا ان انضم الى القائمة، بقدر ما احاول ان أقدم تجربة قد تكون ذات جدة: فالمحاولة التالية تستند الى مفهوم يقول بأن الشعر خلاصة ثقافية، والشاعر تعبير حضاري، يستمد الوحي من نبع التراث كما يستمده من عصره واحداثه. وسواء كان موضوع الدراسة سياسيا، او اديبا، او مؤرخا، أو اي جانب من جوانب النشاط الانساني، فانه في أغلب الاحيان ما يكون محكوما بفكرة، قد تتطور وتنمو وتتبدل، او تتجمد وتذبل، او تظل تراوح وتقتات على ذاتها.

وفي هذه الدائرة أقدم محاولة لتشريح فكر وقلب الشاعر فهد العسكر، من جانبه العاطفي، ورسما لتطور مادة عشقه، والمؤثرات الاجتماعية والثقافية والروحية التي اثرت على تعبيراته الغرامية. والمحاولة هنا تعتمد على الاستقراء المنظم، الذي يؤدي في النهاية الى تحسس انماط واضحة في فكر العسكر.

(١)

والعسكر ، انسان أحب وتعذب . ولقد عبر الشاعر عن عذابه ببناء عالم آمن من الاحلام ، حيث كانت في مركز الجذب حسناؤه . وكانت هذه الحسناء تستجيب للعسكر وحده ، ولم تخاطب القاريء مباشرة ، وصورتها متباعدة دائما ومحاطة بالغموض . وفي احيان كانت حنونا ومتعاطفة ، تعكس « عقدة الرحم » — الحنان والمحبه — التي قاسى الشاعر منها . واحيانا أخرى كانت متمنعة وعصية المنال ، شبيهة في كثير من الوجوه بصورة « الفاتنة الجافية » ، وتذكرنا صفاتها الحلابه وتنائيها بصورة « ليلى » ، فتاة الاحلام في الشعر العذري ، ومن هنا يستعير العسكر اسم فاتنته الجافية :

ليلاي يا حلم الفؤاد الحلو يا دنيا الفنون
يا ربة الشرف الرفيع البكر والخلق الرصين(١)
....
ليلى تعالي زوديني قبل الممات وودعيني
ليلاي لا تتمنعي رحماك بي لا تخذليني (٢)

وهنا نجد اغراق الشاعر في اعجابه وتعلقه بليلى التي لها تأثير حاسم عليه . وفي بعض الاحيان تتم الاشارة الى الفاتنة الجافية في شعر العسكر باستحضار صورة ليلى التي عادة ما تكون متباعدة ، متعالية ومثالية ومتعجرفة . وفي احيان اخرى تقترب صورتها ويخاطبها الشاعر يا « جارة » ، وفي هذه الحالة تكون الصورة شهوانية وحسية :

بك بالشوق بالضنى يا جاره اسعفيني بالكأس والسيجارة
اخرجيني من الظلام الى النور وفرض ان يسعف الجار جاره
يا عروس الاحلام بالله هاتي وخذي ولنفض هذي البكاره (٣)

وكلا الحالتين ، الخلابة ، والشهوانية تتكاملان لكي تخلقا صورة فتاة الاحلام التي يأنس الشاعر فيها المحبة والتعاطف ، صورة تنبيء عن ذلك الحب الغامض لكل ما هو خلاب ، وتعبير الخيال عن الشهوة الجنسية . وهذا التعلق المضني بالحسناء المتمنعة يتملك الشاعر الى حد المرض ، وفي هذا يقول ماريو براز : « (ان هذا) المرض المزمن يخلق منطقة ضعيفة المقاومة ، وكلما تبدت ظاهرة مشابهة ، فانها سرعان ما تجد نفسها اسيرة هذه المنطقة المعدة سلفا ، لدرجة ان الامر يصبح ذا رتابة آنية (٤) ونجد هذه الرتابة في اوائل قصائد العسكر ، التي تغلب عليها صفة التكرار الممل في صور التعبير الغرامي .

(٢)

واما في أواخر سنيه ، فاننا نجد شعر العسكر متأثرا بصورة الفتاة الصوفية المستعصية ، والتي غالبا ما تظهر في الشعر الصوفي ، خاصة في قصائد محيي الدين ابن العربي .

وعلى العكس من أوائل قصائده المتمركزة حول الذات ، والتي تعكس المراره واليأس التام ، فاننا نجد قصائد العسكر المتأخرة تنتعش بصفة جديدة ، تتميز بالانتصار الروحي والتحقق الكوني ، ويرجع ذلك الى المضمون الصوفي لهذه القصائد .

ومفهوم ان السعادة القصوى للصوفي تحقق بذوبانه الكامل في الجوهر الالهي . ويصل الى سعادته بواسطة الحب الصوفي المتسامي ، الذي يسلك « رحلة من خارج الذات الى اعماقها ، ومن المحيط الخارجي لدائرة الوجود الى المركز المتسامي ، وبهذا السلوك تعود الروح الى اصولها » (٥) .

وتعرف هذه العودة لدى الصوفية بالشهود التام للجوهر الرباني واتحادها بالحقيقة المطلقة . ويعبر شعراء الصوفية عن تجربتهم الروحية هذه بتمثل مخلوق ملائكي ، وفي هذا يقول كوربان : « المخلوق الذي يظهر صورته الكاملة يجب ان يكون في نفس الوقت فاعل ومنفعل ، متلق ومبدع . انه ذلك الحدس ، الذي يتطلب من الصوفي ان يحصل على ارقى رؤيا للحكمة ، من خلال التأمل في صورة مخلوق انثوي . ذلك أن التأمل يستطيع ادراك أرقى تجلي للاله الخالق من خلال صورة الانثى الخلاقة » (٦) .

وبناء على ذلك ، فان الشاعر يعبر عن تجربة الحب الصوفي ، التي هي اتصال بين العالم الروحي والعالم المادي ، معتمدا على خياله الخلاق الذي يعتبر ذخيرة لا متناهية لتجربته الشهودية . ويعني ذلك أن الحقائق الروحية اللا مرئية تهبط الى واقع الصورة التي تتقمص شكل فتاة ملائكية .

ولم يشذ العسكر عن هذه الممارسة ، مما ادى بمعاصريه الى عدم فهم رموز غرامه الصوفي ، علاوة على النقاد المتأخرين الذين تصدوا لدراسته . وهنا نجد ان عدم فهم مقاصد العاشق الصوفي ظاهرة تتكرر عبر التاريخ . ونلاحظ في هذا الصدد ان الاستاذ علي زكريا الانصاري يعتبر مشاهد العسكر الغرامية مثل :

وسجدت اجلالا وتعظيما لها واستعبرت روحي وطال سجودي
....
ليلة ذكرياتها ملء ذهني وهي في ظلمة الاسى قنديلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليلة لا كليلة القدر بل خير وخير والله من الف جيل
انا ديني الهوى ودمعي نبيي حين اصبو ووحيه انجيلي
رب صمت يا صاح اوقع بل ابلغ في سحره من التنزيل (٨)

انها منظومة لتحدي مشاعر رجال الدين المسلمين ، ويمضي الاستاذ علي الانصاري قائلا انه من الصعب التحقق من صدق الشاعر في حبه ، وان هذه الصورة مليئة بالاسراف والتحدي . (٩)

وفي رايي ان ابيات العسكر هذه تزدهي بصور الحب الصوفي ، وتتشابه في بعض الوجوه أبياتا لمحيي الدين ابن العربي :

اهيم بها حبا على كل حالة حياة وموتا في القيامة والحشر
لقد سفرت يوما فلاحت محاسن تخبر عنها انها ليلة القدر
سجدت لها حبا فلما رأيتها علمت بانها قد تعلقت بالغير
فكبرت اجلالا لكوني هوينها فسرى الذي قدكان هيمه جهري(١٠)

(٣)

وقد يكون ذلك دليلا على قراءة فهد العسكر لكتابات محيي الدين ابن العربي وتأثره به، وبالقاء مزيد من الضوء على شعر الاول ، سنجد تشابها مدهشا بين الشاعرين .

ولا شك ان الحب الالهي الذي عبر عنه العسكر يختلف اختلافا كبيرا عن حب فتاته الجافية المتمنعة (ليلى) ، حيث ان الشاعر يصف هذا العشق الاخير « بالحب الاثيم » ، الذي كتب له الخلاص منه :

حب تغلغل في الصميم فقضى على الحب القديم (١١)

****

يا مرحبا بك يا بشير الوصل والفضل العميم
أهلا وسهلا بالغرام البكر والامل الوسيم
انقذت روحي من براثن ذلك الحب الاثيم
ورفعتها من بعد ما كانت تمرغ في الاديم
وأرحتها من عربدات الشك واللهو الاليم
وهديتني بعد الضلال الى الصراط المستقيم (١٢)

وهذه الابيات تعبير عن شعور ديني عميق ، واحساس منتعش « بالحب الجديد » ، الا وهو الحب الصوفي ، الذي أعطى روح الشاعر الخلاص في الختام . ولعله من صلب الممارسة الصوفية ، أن الرجل التقي الذي يعشق الجوهر الالهي لا يكشف عن شخص حبيبه ، بل على العكس من ذلك ، فانه يحيطه بستار كثيف من الغموض والرموز، وقد عبر ابن العربي عن ذلك بقوله :

الا ان الرموز دليل صدق على المعنى المغيب في الفؤاد
وان العالمين له رموز والفاز ليدعى بالعباد
ولولا اللغز كان القول كفرا وأدى بالعالمين الى العناد

فهم بالرمز قد حسبوا وقالوا باهراق الدماء وبالفساد
فكيف بنا لو أن الامر يبدو بلا ستر يكون له استنادي
لقام الشقاء هنا يقينا وعند البعث في يوم التنادي
ولكن الغفور أقام سترا ليسعدنا على رغم الاعادي (١٣)

ولم يخرج فهد العسكر عن هذا التقليد الصوفي، ولربما يكون هذا سببا في عدم تعرف النقاد المتأخرين على مقاصد بعض قصائده ، علاوة على معاصريه . وفي هذا المجال استشهد بتحليل للدكتور محمد حسن عبد الله لبيتي العسكر التاليين :

فلكم تراءى لي الخيال حقيقة فيخالني الرائي صريع عقار
فافيق مذهولا وأهتف من أنا فأجاب مجنون بعقر الدار (١٤)

حيث يشير الدكتور محمد حسن عبد الله الى أن هذين البيتين ربما يكونان دلالة على اضطراب عقلي أو لحظة ثورة جارفة وحزن . (١٥)

ومن خلال قراءتي ، اظن أن الناقد قد فسر البيتين خارج نطاق القصيدة التي وردا فيها ، الا وهي قصيدة « في دنيا الخيال » وهي واحدة من أكثر قصائد العسكر نضجا وتساميا ، وتحتضن اشارات وخطرات صوفية. والبيتان المذكوران متبوعان ببيت لعله مفتاح الى فهم معانيهما ، وهو :

يا حب بين يديك نفس تشتكي أفما كشفت غوامض الاسرار

فالشاعر يرنو الى معرفة الغاز الوجود ويلجأ الى محبوبه ـ وهو جوهر الحق ـ لفك الطلاسم الكونية ، وهو مستغرق في تأمل صوفي وذاهل عن وجوده الدنيوي ، ولعل تجربته الروحية هذه صدى لسطور ابن العربي :

انما الكون خيال وهو حق في الحقيقة
والذي يفهم هذا حاز أسرار الطريقة (١٦)

(٤)

اللغة الصوفية ، وأيضا لغة الشعر ، تنغمس في الرمزية : « حيث أن اللغة الصوفية ، مثل كل لغة، لا تتضاءل الى معاني الكلمات التي تستخدمها ، فالمعاني الجديدة التي تظهر في التجربة لا تنحصر في تحول الكلمات التي ينفخ فيها مقصد جديد . فمع اللغة الصوفية لا تتولد الاصطلاحات ـ الالفاظ التكنيكية ـ وحدها ، بل أيضا صور ورموز جديدة لا يقتصر هدفها بالضرورة على هدف الاصطلاحات » .(١٧)

والعديد من قصائد العسكر المتأخرة يحتوي على اشارات صوفية مثل :

« أوقديها ابنة النور فقد خبت النيران،نيران النوى» (١٨)

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

و ...

«لوكتمت الاحلام في الحب عنه يوم كنا مخافة التاويل» (١٩)

و ...

«كم بات ينشد في الدياجي طيفها ويبثه الاشواق حتى المطلع» (٢٠)

فجميع هذه الرموز : « النور » ، « النار » و « الدياجي » وصور الحب المكتوم وعبادة الحبيب حتى الفجر ، مألوفة لدى الشعر الصوفي . ولم يقتصر العسكر في تأثره بالصوفية على استخدام لغتهم الشاعرية ، بل تعداها الى تبني ذات حركات الفعل والصور الخيالية التي لجأ اليها الشعراء الصوفيون ، والتي تهدف الى تحويل التجربة الروحية المتسامية الى تجسيد فني محسوس ، فالتجربة الاولى تنتهي الى عالم لا يمكن وصفه ، بينما تنجح الثانية في جعل ذاتها محسوسة في محيط متباعد في الزمان والمكان .

ولعل قصيدة العسكر « في الاحمدي » أفضل مثال لتأثره بطرائق التعبير الصوفي . فالقصيدة تدور حول فتاة ملائكية يقابلها الشاعر بعد العشاء ، ويصف جمالها مطولا ، كما يصف ذكاءها وحكمتها ، ويشير الى لذة تجربته الروحية مع الفتاة ، ولا يغفل الرمز العيسوي والمحمدي . وهذه القصيدة شبيهة بتجربة لمحيي الدين ابن العربي ، يعبر عنها في مطلع ديوانه « ترجمان الاشواق » :

« قال الشيخ رحمه الله : فمن ذلك حكاية جرت في الطواف . كنت أطوف ذات ليلة بالبيت فطاب وقتي وهزني حال كنت أعرفه فخرجت من البلاط من اجل الناس وطفت على الرمل فحضرتني ابيات فانتدبتها اسمع بها نفسي ومن يليني لو كان هناك احد ، وهي قوله :

ليت شعري هل دروا اي قلب ملكوا

... الخ .. فلم أشعر الا بضربة بين كتفي بكف اللين من الخز » (٢١)

بينما نجد العسكر يمد يده مصافحا فتاته :

بابي وامي من مددت لها يدي بعد العشاء مصافحا في الاحمدي
فيداء عرج بي عليها اغيد فيدارها. انعم بذاك الاغيد (٢٢)

وفي الوقت الذي يلتفت فيه ابن العربي فيرى : « فاذا بجارية من بنات الروم » ، فان العسكر يجد فتاته في الاحمدي (معظم سكانها الى عهد قريب من الاجانب المسيحيين العاملين في النفط) وعلاوة على ذلك فانه يصرح :

فاليوم قادت من تحب لدينها وغدا يعود بها لدين محمد (٢٣)

ويصف ابن العربي الجارية : « لم أر احسن وجها ولا اعذب منطقا ولا ارق حاشية ولا الطف معنى ولا أدق اشارة ولا اظرف محاورة منها ، قد فاقت اهل زمانها ظرفا وادبا وجمالا ومعرفة » .

أما العسكر فانه يصور فتاته :

ملكت علي مشاعري بحديثها وبلطفها وذكائها المتوقد
فملاحة وسماحة وصراحة ورجاحة بالعقل فاشكر واحمد (٢٤)

وهكذا يتمثل العسكر تجربة ابن العربي التي يصفها « كوربان » بأنها رؤيا متسامية تميل الى احاطة الفتاة بالصفة الملائكية وتمثل بالنسبة له « التجسيد المرئي للحكمة الخالدة — "Sophia Aeterna"

خاتمة

لقد مر عشق العسكر بتطور شائق يمكن تقسيمه الى مراحل ثلاث ، بدأت الاولى بالحب الجسدي والشهواني ، كتعبير عن رغبته في التعدي على المحافظة الاجتماعية . وأما الطور الثاني فقد اصطبغ بالعذاب الرومانتيكي ومحاولة الوصول الى المرأة المتمنعة ، وهذا تعبير عن مرارة خيبة الامل والتوقي الى المستحيل . وفي زمن الحب الثالث أتم الشاعر دائرة كاملة ، عندما تسامى بعشقه الى هوى الحكمة الروحية الخالدة التي ترمز الى انتصاره الروحي ونضوجه الفكري .

طارق عبد الله

نيويورك

هوامش وتعليقات

● **مفتاح =**

نم = نفس المرجع (المذكور أعلاه مباشرة)

نمف = نفس المرجع المذكور فوقا (نفس الطبعة لنفس المؤلف ذكرت قبلا)

بت = بلا تاريخ (طبعة غير مؤرخة)

ط = الطبعة

ص = صفحة

ص ص = الصفحات

ج = مجلد ، جزء (السنة ان كانت دورية)

ع = العدد

١ — عبد الله زكريا الانصاري: **فهد العسكر ، حياته وشعره** ، ط ٣ (الكويت : مطابع الرسالة) ١٩٧٢ ، ص ١٥٦

٢ — نم .

٣ — نم ص. ١٨٠

٤ – Mario Praz, **The Romantic Agony**, trans. by A. Davidson (London Oxford University Press, 1970), P. 201.

٥ – Sayyid Hossein Nasr, **Sufi Essays** (Albany N. Y. : State University of New York Press, 1972), P. 16.

٦ – Henry Corbin, **Creative Imagination in the Sufism of Ibn Al-Arabi,** trans. From French by Ralph Manasheim (Princeton University Press, P. 1969 159),

٧ ــ الانصاري ، نمف ص ١٩٦

٨ ــ نم صص ١٧٨ ــ ١٧٩

٩ ــ علي زكريا الانصاري: « فهد العسكر، حياته وشعره ــ ٤ ــ» **البيان** ، ج٩ ، ع١٠٢ ، سبتمبر ١٩٧٤ ، صص ٩ ــ ١٠

١٠ــ محيي الدين ابن العربي ، **الفتوحات المكيـــة** (بيروت : دار صادر بت) ج٢ ، صص ٢٦٠ ــ ٢٦١

١١ــ عبد الله زكريا الانصاري : **نمف** ، ص ٢١٠

١٢ــ نم ، ص ٢١١

١٣ــ ابن العربي ، **نمف** ، ج ١ ص ١٨٩ . انظر ايضا ج ٢ ص ٣٢ حيث يكشف ابن‌العربي عن اهمية الاشارة الى المحبوب بالرمز: « فالتواب هو المجهول في الخلق لانه محبوب والمحب غيور على محبوبه فستره عن عيون الخلق فانه لو كشفه لعباده ونظروا الى حسن المعنى في باطنه لاحبوه ولو احبوه لصرفوا همتهم اليه فآثروا فيه الاقبال عليهم تخلقا حقيقيا من قوله اذكرونـــي اذكركم واتبعوني يحببكم الله فكان سبب اقبال الحق على العبد اقبال العبد على أمر الحق فما ظنك بالمخلوق فهو أسرع في الاقبال عليهم لانه محل يقبل الاثر فلهذا القبول الصادر منهم لو أحبهم الخلق سترهم فلم يعرفوا العرائس المخدرات خلف حجاب الغيرة فيقال فيهم مذنبون وليسوا والله بمذنبين » .

١٤ــ الانصاري ، **نمف** ، ص ٢٧٤

١٥ــ محمد حسن عبد الله ، « هوامش على شاعر كويتي ــ ١ ــ » البيان ج ١٠ ، ع ١٠٩ ، أبريل ١٩٧٥ ، ص ٤٥

١٦ــ ابن العربي : **فصوص الحكم** والتعليقات عليه بقلم **ابو العلاء** عفيفي (بيروت : دار الكتاب العربي ١٩٦٦) ج ١ ص ١٥٩

١٧ – Paul Nwiya, **Exegese Coranique Et La Langage Mystique** Beyrouth : Dar-el-Machreq) Editeurs, 1970) P. 313.

١٨ــ الانصاري ، **نمف** ص ١٨٣

١٩ــ نم ص ١٧٨

٢٠ــ نم ، ص ١٦٨

٢١ــ ابن العربي : **ترجمان الاشواق** (بيروت : دار صادر بت) ص ١١ ، انظر ايضا قصيدة « أسقنة من بلاد الروم » ص ١٥

٢٢ــ الانصاري ، **نمف** ، ص ١٩٧

٢٣ــ نم ص ٢٠٠

٢٤ــ نم ص ١٩٨

٢٥ – Corbin, **Op. Cit.**, P. 140.

شؤون فلسطينية

مجلة شهرية فكرية لمعالجة احداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة

تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

يكتب فيها مجموعة من كبار الكتاب والمتخصصين في القضية الفلسطينية

صدر العدد الاول في مارس ١٩٧١

٢٤٠ صفحة من القطع الكبير تقدم مقالات ودراسات وبحوثا في الشؤون السياسية والثقافية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية للقضية الفلسطينية وللشعب الفلسطيني وللصهيونية واسرائيل ، الى جانب الابواب الشهرية الثابتة التي تسجل الاحداث والنشاطات الفلسطينية المختلفة .

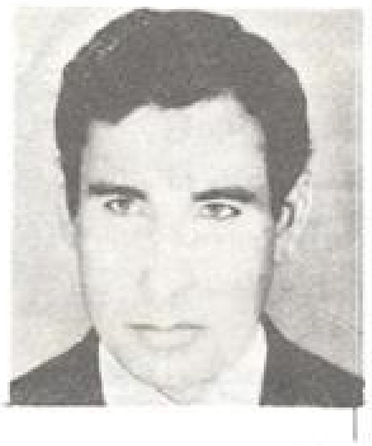
ثمن العدد : ½٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥ فلسا في الكويت والعراق ، ½٤ ل.ل. في سائر الاقطار العربية . الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٤٠ ل.ل. في لبنان ، ٥٠ ل.س. في سوريا ، ٥٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٦٥ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ٩٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا . الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، راس بيروت ، بيروت ــ لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا : مرابحات ، بيروت .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكنز المفقود





شعر/ حسان المطلبي

لا لم ار القلب ولم اناجه مذ ازف الرحيل
اصار قلبي موجة في نهرك الصغير ؟
أم سدرة راهبة تناى عن النخيل
في عزلة تلتف في ملاءة خضراء
وهي ترمق السماء
وما انحنت مذ طفلة كانت الى الارض
ولم تكف عن صلاتهـــا
ثم انحنت وفرعها مضرج بحمرة الاصيل
قد حدثوني : ما اشتكت
كأنها غائبة عن رشدها
في وردها الطويـــل
قد سحبوا خصلتها الخضراء وهي تحتضر
غالوا البراءات التي المهـــا
كما يلم الطفل في تطوافه من الشجر
غصنا ذوى قد كان رف وازدهر
يرضع من لبـــان أم برة
مع اخوة من الغصون ،
اهتز من نضارة شبابها
وحين يظمى يرتوي من ادمع المطر
غالوا البراءات التي المهـــا
كما يلم الطفل في تطوافه فراشة
عصفورة جريحة ، قبلها ، وزقها
من الرغيف كسرة قد بلهـــا
بريقـــــه ..
أو انه ان عز هـــذا
لم اشتات الحصى هدية لاخوة صغار
قد وقفـــوا ....

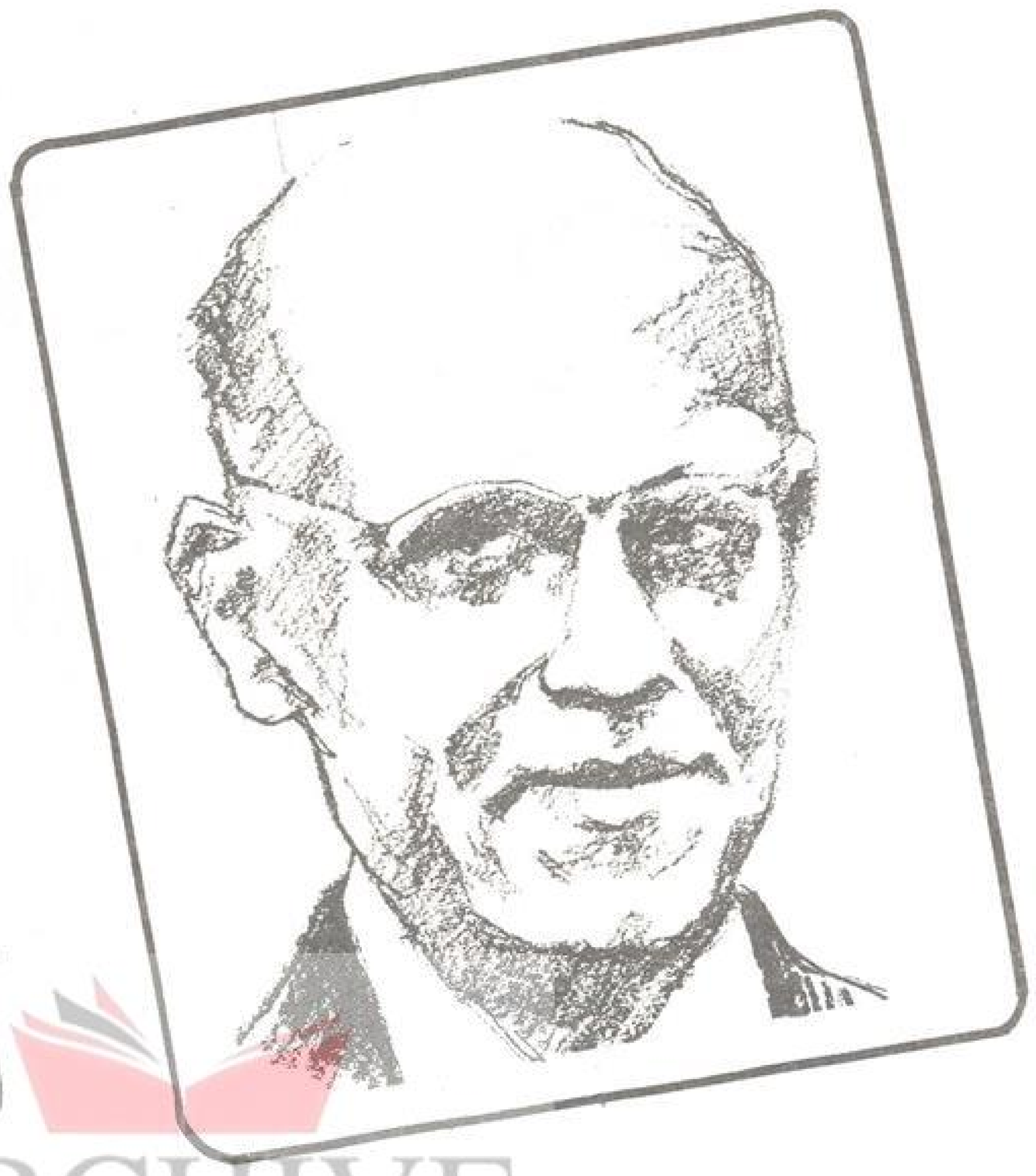
ينتظرون عودة منه بباب الدار
تحلم بالاسماك والمحـــار
قد حدثوني وأنا طفل كما قد حدثوا بقية الصغار
نهرك يا ملاحنا الصغير ، يا ملاحنا الحالم بالاسفار
يرقد في قراره اللؤلؤ والنضار
غصت الى قرارة اللؤلؤ والنضار
من مطلع الفجر الى المغيب
ولم أزل هناك يا حبيب
أغوص حتى يرتمـــي النهـــار
ويلفظ الانفاس في احتضار
ويرمق الضفاف في انكسار
غصت الى قرارة اللؤلؤ والنضار
سألت حتى السمك المولود
في جرفـــه عن كنـــزي المفقـــود
سألت حتى البرق والسحاب والرعود

★ ★ ★

أمس رميت النفس فوق صدره
وقد خبـــا من كنزه
بريقه اذ نفضت غبارها السنون فوق دره
وحين أهوى الموج بي لقاعه
لمحته ، لمحت وهج الشعلة الخضراء في التماعه
تفتقت طفولتي عن زهره
رائحـــة الام الثرى حتى قرار الروح
قد شممتها من عطـــــره
وحينمـــا رفعـــت كفي كان فيها خصلة خضراء
من سدرتي العـــذراء

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نساء ثلاث في حياة ابي ماضي



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بقلم : جورج دميتري سليم

المقالة الثانية (*)

(٣)

بقي أن نتحدث عن دوروثـــي ، المرأة الثالثة والاخيرة في حياة ابي ماضي . ودوروثي ، أو « دورا » كما تدعى تدليلا ، هي البنت الكبرى لنجيب موسى دياب وكاترين سابا . وهي أخت عايدة وسلمى وأولغا واليس وجورج . تعرف عليها ايليا عام ١٩١٨ ، حين عمل محررا بجريدة والدها ـ جريدة « مرآة الغرب » النيويوركية ، ثم خطبها في ٤/١٥ من نفس العام . وبعد عامين اقترن بها في ٢٥ ـ ٤ ـ ١٩٢٠ وهو على وشك اتمام الحادية والثلاثين ، فأنجبت له رتشرد في ٢٣ـ٢ـ١٩٢٢ ، وادوارد في١٧ـ١ـ١٩٢٤ ،وروبرت في ١ـ٥ـ١٩٣٣ ، وظلت الى جانبه حتى وفاته عام ١٩٥٧ . فلا بد اذن أن يكون لدوروثي ـ وقد شاركت ايليا حياته أربعين سنة ـ أثرها في حياة ايليا ،وبالتالي في أدبه .

ولعله من المفيد ، قبل محاولة التعرف على دوروثي في أشعار زوجها ، محاولة التعرف ـ قدر المستطاع ـ على أبي ماضي أيام عزوبته .

(*) المقالة الاولى نشرت في العدد (١١٣) من « البيان » .

يظهر لنا من أشعار شاعرنا التي نظمها أيام الشباب الغض أنه كان شابا مستقيما ، لم يعاقر الخمر ، ولم يواصل النساء . اسمعه يقول عن نفسه ، في احد مطالعه ، وكان في الثالثة والعشرين :

لا الغيد تصبيني ، ولا الاقداح — مهمتا تغالى فيهما المداح

واسمعه يقول ، وهو في نفس السن :

ابت نفسي النزول الى الدنايا — وقلبي ان يميل الى التصابي
فما دانيت اقداح الحميا — ولم اهمم بغانية كعاب
وما منع الزهادة في اني — حديد ناظري ، غض اهابي
وما كان الشباب ليزدهيني — لاني ما امنت على شبابي
اضن به على الشهوات ضني — على «هند» بشعري والـ «رباب»
ربيع العمر ان يذهب جزافا — اكن من بعده صفر الوطاب

واسمعه يصف بعض اقران عصره ، وكان في نفس السن أو دونها :

الهتهم الدنيا ، فهذا بالطلى — صب ، وهذا بالحسان متيم
والخمر فاتكة ، فكيف بناعم — ترف ، يكاد من النسائم يسقم؟!
قد اصبحوا وقفا على شهواتهم — يستسلمون لها ، ولا تستسلم
لم يفهموا معنى الحياة وكنهها — ان البلية انهم لم يفهموا
فليقلموا عن فيهم ، اني ارى — خور الشيوخ بهم، ولما يهرموا

واسمعه وهو في الخامسة والعشرين يقول ، بعدما وصف تلك اللقاءات اللذيذة البريئة التي قضاها مع حبيبة له في « مسرح العشاق » :

ظن الانام بنا الظنون — وما اجترحنا من نكير
قد صان بردتها الحياء — وصانني شرفي وخيري

واسمعه مخاطبا « أخت المهاة » :

يا « هند » ، كم ذا الانام تعذلنا — وما اثمنا ، ولا بنا وزر
فابتدرت «هندا»، وهي ضاحكة: — ماذا علينا ، وان هم كثروا ؟
ذرهم ، وان اجلبوا وانصخبوا — ولا تلمهم ، فما هم بشر
فقل لمن يكثر الظنون بنا : — ما كان الا الحديث والنظر

على أن مثالية أبي ماضي هذه في حبه للمرأة ، كما تبديها لنا الابيات السابقة ، لا تنسجم وما جاء في قصيدتين اخريين . قال في « واقعة حال » ، وكان في الثالثة والعشرين أو دونها :

للوجد اضحى مسكنا — قلبي ، وجسمي للضنا
وبات للامال والـ — ـآلام راسي وطنا
فقدت صبري في الهوى — ومهجتي ، والوسنا

وغادة ، لو قيل : من — جن بها ؟ قلت : انا
تمنعني الوصل كما — يمنعني الدهر الهنا
عانقتها ، ولم اكن — عانقت قبلا غصنا
وبت اجني بفمي — من فمها مثل المنى

والدهر عنا غافل — ونحن في يقظتنا
ولا تسل عما جرى — منا ، وكان بيننا

وقال في « حكاية قديمة » ، وكان في السابعة والعشرين :

وقربها مني وقربني الهوى — الى ان ظننا اننا واحد فرد
كاني ما الصقت ثغري بثغرها — ولا بات زندي وهو في جيدها عقد
ولم نشتمل بالليل،والحي نائم، — ولم نستتر بالروض،والليل ممتد
ولا هزناشدو الحمائم في الضحى — ولا ضمنا بيت ، ولم يحونا برد

فكيف نفسر عدم الانسجام هذا ؟ أكثر الظن أن أبا ماضي كان أحد ثلاثة في هاتين القصيدتين : اما مقلدا ، واما قاصا راويا ، واما شاطحا بخياله .

استمع اليه في « روح الصب » المجهولة يعارض أحمد شوقي (١٨٦٨ — ١٩٣٢) في غزليته المعروفة « مضناك جناه مرقده » ، وكان ابو ماضي وقتئذ في الثالثة والعشرين أو دونها :

أقوم الليل ترقده ؟ — ظلم حاشاك تؤيده
فارحم من بات على خطر — وكفى بالهجر تهدده
ما قلبي عندك ؟ ما وزري ؟ — قل لي فعساي أفنده
قسما بالحب ، ومصدره — عيناك وروحي مورده
بالسحر ، وطرفك مكتمه — بالورد ، وخدك مرقده
بالحسن ، وشخصك واحده — بالشعر ، و « عبدك » سيده
الا اشفقت على دنف — قد اشفق منه عوده ؟
من كان رجاؤك يسكنه — امسى واليأس يبدده
يطوي الاحشاء على حرق — وبييت اسى يتوسده
تسمر كالرسم مقلده — رئم كالغصن تاوده
وضاح الطلعة رائعها — بسام الثغر منضده
ممشوق القامة اهيفها — مفلوك الخصر مصفده
اوشكت لفرط محاسنه — ـ غفرانك ربي ـ اعبده
يا روح الصب ومهجته — ما ضرك لو تتمهده ؟
ايروقك ان يفنى اسفا — في الحب ويبقى حسده ؟
مر طيفك يطرقني سحرا — احمد مولاي واحمده
او عدني زورته وامطل — كي اقضي عمري ارصده

واستمع اليه بعد هذا في «حكاية حال» المجهولة، وكان في نفس السن عندما نظمها :

فضممت خصرا قد حكى بدني — أرايتم طيفا يضم هبا ؟
واذا بها من فحتي نفرت — فلزمت عند نفارها الادبا
قالت: اراك اسات. قلت :الى — جسدي الذي حملته التعبا
قالت :وثم طمعت . قلت لها: — في العفو منك ، اذا اللسان كبا
قالت : وما ترجو ؟ قلت لها : — لا فضة ابغي ولا ذهبا
ما ثم غير الوصل من طلب — ان كنت ممن يقبل الطلبا
قالت : رجوت المستحيل، اذاً — اخشى عليك الويل والعطبا
فاجبتها ـ والدمع منسجم : — واحسرتي ، ان لم انل اربا !
لا تعجلي في قتل نفس فتى — ما زال غضا يافعا رطبا !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فتحولت عني ، وقد ضحكت ضحك الرضى ، وتمايلت عجبا
وتقدمت ، والثغر مبتسم فكانه لم يعرف الغضبا
فاعدت من ولهي لها قلبي فاعار قلبي خدها اللهبا
وهصرت قدا خلته غصنا ورشقت ريقا خلته ضربا
يا ليلة سمح الزمان بها ووفى ، فرد علي ما سلبا
ما زلت ابصر من محاسنها روضا ، ومن احسانها سحبا
حتى انجلى جنح الظلام ، وقد هجم الصباح ، افقت مكتئبا
حلم ، وما الدنيا سوى حلم يا حبذا لو لم يكن كذبا

لاحظ محمد عبد الغني حسن على ابي ماضي وهو يكتب عن « نفحات الحب ولفحات العشق في أدب المهجر » ، لاحظ عليه « أنه لم يتناول « الحب » في شعره عن تجربة، ولم يعالج العشق عن خبرة ذاتية ، وانما تناولهما عن حكمة نظرية ، وفلسفة غير عملية »، ثم قال : « ولعله كان مشغولا بفلسفة العشق عن العشق ذاته . »

ولاحظ زهير ميرزا ذات الشيء تقريبا ، فقال : «ان شعر الشاعر — في مختلف القصائد والمقطوعات — لا يعدو ما نسميه «النسيب» من حيث انه يقول دون ان نستشعر عاطفة الشاعر الخاصة تجاه مخلوقة بعينها، او حبيبة وقف عليها حياته وشعره ، وكأن الشاعر الكبير لم يعرف الحب ، ولم يستوحه في منظومه ! »

أما نازك الملائكة ، فقد علقت على شعر ابي ماضي عامة بقولها : « ان القصيدة عنده فكرة قبل كل شيء ، والعاطفة بازائها ثانوية تماما ، حتى اننا لننتقد شعر الحب في ديوان « الجداول » (١٩٢٧) انتقادا شبيه تام . »

فاذا بحثنا عن الاسباب التي افقدت شعر الحب عند ابي ماضي — او كادت تفقده عنده — قد نجد ان اوجهها هو ذلك التحول الجذري المبكر في مفهوم ابي ماضي للشعر ، او — اذا استشهدنا برأيه وهو يقدم لـ « ديوان نعمة الحاج ، الجزء الاول » ، عام ١٩٢١ — هو ذلك الانتقال الطبيعي من «دور المجانسة والتقليد » الى « دور الابتكار والتوليد » الذي يمر به كل شاعر حقيقي .

فبعد ان شبب ابو ماضي بالمراة زمنا ، ونظم « في الغزل والنسيب » ، وأفرد لهذا الفن بابا مستقلا في « ديوان تذكار الماضي » (١٩١١) ختمه بالبيتين :

انا امام الذين هاموا وأي قوم بلا امام
فليس قبلي ، وليس بعدي ولا ورائي ، ولا امامي

نراه ينبذ هذه « الامامة » ، وشعرها معها ، من أجل الشعر الحق . اسمعه يقول في « ديوان ايليا ابو ماضي ، الجزء الثاني » (١٩١٩) ، الذي كان صدوره قبل زواجه بعشرة اشهر :

انا ما وقفت لكي اشبب بالطلى ما لي وللتشبيب بالصهباء ؟
لا تسالوني المدح او وصف الدمى اني نبذت سفاسف الشعراء
لم يفهموا بالشعر الا انه قد بات واسطة الى الاثراء
فلذاك ما لاقيت غير مشبب بالغانيات ، وطالب لعطاء
شقي القريض بهم وما سعدوا به لولاهم اضحى من السعداء

بعد هذا القليل الذي استخلصناه من أشعار أبي ماضي من عزوبته ، أحب أن أقدم للقارىء قصيدة لشاعرنا ، خفيفة الروح مجهولة ، ترتبط بموضوعنا ، أوحاها اليه شيطان الشعر لينشدها في حفلة عرس صديق له . قال :

أوحى لي الشيطان قبل النوم كيما احدثكم حديث اليوم
باسم العريس سالتكم، يا قومي ان تسمعوا ، فصياحكم ينكيني!
ان كان اغضب بعضكم تنبيهي فلسوف ارضيه بما ارويه
من غير تزويق ، ولا تمويه ولسوف اخلط جدكم بمجوني
اني محدثكم عن العزاب واخص منهم معشر الاصحاب
فانا بهم اولى ، وهم اولى بي الله يعطيهم كما يعطيني !
يقضون جل الوقت في القهوات يتحدثون بحسن كل فتاة
هذا عن الماضي ، وذا بالاتي من غير تقدير ولا تخمين
فنظنهم من طحنهم والجمجمة في معمعان وغى ، ولا من معمعه
لكنما ملات رؤوسهم الجمه فعلا صياحهم وسب الدين
فاذا بهم مرت فتاة تهرع باتت قلوبهم هوى تتقطع
فتالبوا من حولها وتجمعوا مثل الجيوش على « كروبتكين »
هذا يقول لها : انا مضناك لولاك ما عرف الهوى لولاك
ويقول ذا : اني قتيل هواك كفي الصدود ، فنظرة تكفيني
ولربما اختلفوا من الاشجان مثل اختلاف القوم في « البلقان »
فتشاتموا جهرا بكل لسان وتطاعنوا بالفرد والسكين !
ولقد تكون قبيحة شوهاء وكبيرة في سنها شمطاء
قد خلفت ابناؤها الابناء فكانما كانت مع « التكوين »
فاذا علت صيحاتهم في اثرها راحت تنيه على عجائز دهرها
حتى اذا هي خبرت عن عمرها قفزت من الستين للعشرين !
فتنتهم بجمالها المصنوع فتوهموا ان الجمال طبيعي
ما كان جمعهم سوى مخدوع لم يعشقوا ، والله، غير دهون
يتقاتلون ، ولو سالتهم : لما يتقاتلون ؟ وجدت كلا ابكما
لو يعقلون لما غووا ، لكنما لا عقل عند الاعزب المسكين
ان اللبيب من الاشارة يفهم وهم وان سكتوا ولم يتكلموا
فلان اوجههم تخبر عنهم «كاد المريب بان يقول:خذوني!»
يا قوم ، هذي عيشة العزاب في الدهر بين مصائب وصعاب
وسوى امور تركها احرى بي اخشى تثير شجونهم وشجوني
كم اعزب بالسهد انهك جسمه نام الورى عنه ، فارق همه
حتى اذا ضم الفراش وضمه طلع الصباح فهب كالمجنون
رهن الشقاء ، فليس يفتح جفنه ليرى ، ولكن كي يبلل ردنه
ويظل يقرع سنه ، ولو انه في الروض بين الورد والنسرين

ما من يرقع ثوبه اما انخرق ... ما من ينفس كربه ولو اختنق
لا تسالوني عنه ان جن الفسق ... ما حال من امسى بغير خدين

الليل والحانات تنهب صحته ... وحبائل الشيطان تنهب نفسه
ان جئت تنصحه ليترك خطته ... يوما ، فقد غنيت في الطاحون

تالله لو تحوي النساء جهنم ... ما خاف ان يأوي اليها المجرم
بل كان يأثم كل من لا يأثم ... فالنار برد مع وصال العين

ما الخلد كوثره الذي يتبجس ... كلا ، ولا لالاؤه والسندس
لكنه تلك الجواري الكنس ... الموجدات حنينكم وحنيني

ولذا اهنيء صاحبي بقرانه ... واود من قلبي الى اقرانه
من غيد هذا العصر او شبانه ... ان يخلدوا بالمز والتمكين

كان أبو ماضي على وشك اتمام التاسعة والعشرين عندما طلق العزوبة ليخطب فتاة احلامه دورا في حفلة بدار والدها . وتعذر على ندرة حداد — صديق ايليا الذي كان يكبره بثماني سنوات — حضور هذه الحفلة ، فأرسل الى ايليا قصيدة عتاب طريفة ، جاء فيها :

قالوا علقت فقلت وا ... لهفي على ذاك الصديق
من كان يؤنس وحشتي ... في وده الصافي الحقيقي
ولى وخلف مهجتي ... بين التمزق والحريق
من لي بمرجعه الي ... ولو برمي المنجنيق
انسيت « ايليا » ليا ... لينا وأوقات الرحيق ؟
ومجالسا كانت تضيء ... بشعرك الزاهي الرقيق ؟
نسلو بها الم الحيا ... ة ، وما بها من شر ضيق
نشكو العزوبة انما ... شكوى الغريق الى الغريق
اسفي عليها انها ... لمعت ومرت كالبروق
ماذا دعاك الى النوى ... والى مغادرة الرفيق ؟
اني عهدتك خاليا ... والقلب ليس بمستفيق
لا يعرف الحب المذيـ ... ـب ولا ممارسة الخفوق

عد يا صديقي عن الجفا ... ء ، بحرمة الود العتيق
وارجع ، ولا تطع الهوى ... ما زلت في نصف الطريق
ليس الهزار وان شدا ... في سجنه مثل الطليق

فما كان من ايليا الا أن بعث الى ندرة قائلا — على الوزن والقافية :

يا صاحبي « ندره » الحبيب ... وأنت لي أوفى صديق
لا ترمني بالعقوق ... فلست بالخل العقوق
ما ان صددت ولا جفوت ... ولا سلوت عن الرفيق
لكن حقوق الحب عندي ... اذهلتني عن حقوقي
يا ليت يجري في عروقك ... ما تغلغل في عروقي
ان القلوب بلا هوى ... مثل الكؤوس بلا رحيق
ان الحياة بلا شريك ... كالطريق بلا رفيق
« ندره » وانت الشاعر السباق ... للمعنى الرقيق
اياك ان تعصي الغرام ... بحرمة البيت العتيق
ان الشباب وانت منه ... اليوم في ثوب أنيق
اخلق به طرح الزهادة ، ... انها قيد الطليق
فاذهب وفتش عن فؤاد ... مثل قلبك في الخفوق

بين الازاهر في الربى ... أو في الغمائم والبروق
وارجع بمن تهوى الي ... وكن رفيقي في الطريق

كان ابو ماضي اذن ، كما نراه ، من المؤمنين بالزواج ، المحبذين له ، المقدمين عليه ، ومن المنبهين أيضا — في ذات الوقت — بعدم خلو الزواج من بعض المنغصات ، في بعض الاحيان . اسمعه في القصيدة الاتية المجهولة ، التي نظمها قبيل خطوبته بشهرين ، يروي حديث أحد الازواج التجار :

رايته مرتبكا ... كفارق في لجة
فقلت : ما لصاحبي ... في قلق وحيرة ؟
اخائف من نكبة ... أم واقع في نكبة ؟
اجاب : لا هذا ولا ... ذا ، انما بليتي
صبية طائشة ... كثيرة العنت
وضعتها في مكتبي ... فحكمت في « رقبتي »
ثرثارة ، لسانها ... مثل لسان الحية
سخية وانما ... بذهبي أو فضتي
تنفق ما اكسبه ... في سنة ، في لحظة
على حذاء ، او على ... ثوب جديد « الموضة »
أو حلية غريبة ... في الشكل ، أو قبعة
كأنها ، ولم تكن ، ... شريكتي في ثروتي
خادمتي ، لكنها ... تامرني بسلطة
كأنني خادمها ... كأنها سيدتي
اذا رات مليحة ... جالسة في غرفتي
عضت على بنانها ... ورقصت كالموجة
واقبلت كاثرة ... عن نابها كالذئبة
تنظر نحوي مرة ... ومرة نحو التي
حتى ارى منزلتي ... حقيرة في مقلتي
وتستشيط ضيفتي ... فاستحي من ضيفتي
كم مرة نصحتها ... فرفضت نصيحتي
تريد ان احبها ... كما احب مهجتي
وما لها من شيمة ... تكسبها محبتي
لكنني اخافها ... خوفي من المنية

• • • •

فقلت في نفسي : ... هذا رجل كالامة
لو انني مكانه ... طردتها من خدمتي
فمال عني ضاحكا ... مستهزئا بفكرتي
وقال : ما انصفتني ... ولم تكن اذا فطنة
يا صاحبي ، كلفتني ... ما ليس في مقدرتي
اني اذا طردتها ... اخشى من الفضيحة
وان تسوء سمعتي ... فانها عقيلتي !!

آن لنا ان نرجع الى دوروثي ، ونحاول التعرف عليها في اشعار زوجها . ولكن هذا التعرف لن يكون سهلا ميسورا . ذلك لان ايليا تجنب تسمية دورا في اشعاره ، كما تحاشى الاشارة اليها صراحة . فعل ذلك لانه — كبعض الادباء — احب أن يقرأ الناس له ، وكره أن يعرفوا عنه .

وقع ايليا في غرام دورا أوائل ١٩١٨ ، على ما يظهر ، فلما تسنى له الخروج معها والجلوس اليها

منفـــردا ، نظم غراميته « بلاء أم نعمة ؟ » ، وفيهـــا عبر عن هواه لها ، ووصف ، في أبلغ وصف ، تردده وتهيبه في لقائه الاول معها . اسمعه يخاطبها ، وقـــد كني عنها بـــ « ابنة كولومبس » لمولدها الامريكي :

أحـــب معانقـــة النرجـــس ... لعينيـــك يا « ابنة كولومبس »
وأهـــوى الشقيق ولثم العقيق ... لخـــدك والثغـــر الالعـــس
أعندك ان غبت عن ناظـــري ... مشيت من الصبح في حندس ؟
وأن الظلام ، علـــى هولـــه ، ... اذا جئت حال الـــى مشمس ؟
وفي الصدر قلبا ، ولا كالقلوب، ... متى شئت يسعـــد او يتعس ؟
وددت الافاضـــة قبـــل اللقـــاء ... فلمـــا لقيتـــك لـــم أنبـــس
وبـــت واياك في معـــــزل ... كانـــي وايـــاك في مجلـــس
ولو أن ما بي بالطـــود دك ... وبالاســـد الورد لـــم يفـــرس
هممـــت ، فانكرنـــي مقولـــي ... وشـــاء الغـــرام فلـــم أهجس
كانـــي لســـت أمـــير الكـــلام ... ولا صاحـــب المنطـــق الانفس
جلالك ، والليل في صمتـــه ، ... فـــلا غـــرو أن رحت كالاخرس
ومـــرت بنا ساعة خلتنـــا ... خلعنـــا الجســـوم عن الانفس
وأنـــا من الـــروض في جنـــة ... وأنـــا من العشـــب في سندس
كذاك الهـــوى فعله في النفوس ... كفعـــل المدامـــة في الارؤس
تنبـــه فيهـــا وفـــي الهـــوى ... فلـــو نعس النجـــم لم ننعس
وكل فـــؤاد شديد العـــرام ... اذا رضتـــه بالهـــوى يسلس
فمالـــت فطوقهـــا ساعـــدي ... منعمـــة بضـــة الملمـــس
وأن المفاف لفـــي بردهـــا ... وأن الابـــاء لفـــي معطســـي
وقلت ــ وكفـــي في كفهـــا : ... ألا صرحي لي أو فاهمســـي
بلاء هـــو الحـــب أم نعمـــة ؟ ... أجابـــت : تجلـــد ولا تيأس

واسمعه يقول لها في غرامية أخرى :

عينـــاك والسحـــر الذي فيهما ... صيرتانـــي شاعـــرا ساحرا
علمتنـــي الحـــب ، وعلمتـــه ... بدر الدجى والغصن والطائرا
ان غبت عن عيني، وجن الدجى ... سألت عنك القمر الزاهـــرا

واسمعه يقول لها بعد خمس سنوات تقريبا من العيش معها ، وبعدما دهمتهما سويا بعض الرزايـــا والبلايا :

تعالي نسرق اللـــذات ما ساعفنا الدهر
وما دمنا وما دامت لنا في العيش آمال
يريد الحب أن نضحك، فلنضحك مع الفجر
فمن يعلم بعد اليوم ما يحدث او يجري؟
تعالي قبلما تطمـــر أحلامي الاعاصـــير

واسمعه يقول لها ، وقد جاء العيد :

أي شيء في العيد أهدي اليك ... يا ملاكي ، وكل شيء لديـــك
أسوارا ؟ أم دملجا من نضار ؟ ... لا أحب القيود في معصميـــك
أم خمورا؟ وليس في الارض خمر ... كالتي تسكبين من لحظيـــك
أم ورودا ؟ والورد أجمله عندي ... الذي نشقـــت مـــن خديـــك
أم عقيقـــا كمهجتي يتلظـــى ؟ ... والعقيق الثمـــين في شفتيـــك
ليس عندي شيء أعز من الروح ... وروحي مرهونة في يـــديـــك

واسمعه يتحسر على أيام لهوه معها في غابـــة زالـــت :

لله في الغابـــة أيامنـــا ... ما عابهـــا الا تلاشيهـــا
طورا علينـــا ظـــل أدواحها ... وتارة عطـــف دواليهـــا
وتارة نلهـــو باعنابهـــا ... وتـــارة نحصـــي أقاحيهـــا
وان تضاحكنا سمعنـــا الصدى ... يضحـــك معنـــا من أقاصيهـــا
نسير من كهـــف الـــى جـــدول ... نكتشـــف الارض ونطويهـــا
وتختبي « هند » ، فاشتاقهـــا ... وأختبي عنهـــا ، فأغريهـــا
كم أوهمتني الخوف من طارىء ... تشجي بذا نفسي ، فتشجيهـــا
فرحـــت أعـــدو نحوها مشفقا ... فكان ما حـــاذرت تمويهـــا !
فاعجب لاطواري وأطوارهـــا ... تعبث منـــي وأجاريهـــا !
يا لهفـــة النفس علـــى غابـــة ... كنـــت و « هند » نلتقي فيهـــا
جنة احلامـــي وأحلامهـــا ... ودار حبـــي وتصابيهـــا
أنا كمـــا شاء الهـــوى والصبا ... وهـــي كمـــا شاءت أمانيهـــا

واسمعه يتلهف أيضا على أيام جميلة قضاهـــا معهـــا في ميلفورد بنسلفانيا :

هذه «ملفرد» ، قد لاحت رباها ... فانس، يا قلب، الليالي وأذاها
ذهبـــت عشـــرون في فرقتهـــا ... ليتها فيها انقضت لا في سواها
كم جلسنا تحـــت صفصافهـــا ... أشتكي وجدي،وتشكو لي هواها
تتناجـــى ويـــدي في يدهـــا ... فاذا لاح خيـــال نتـــلاهـــى
أنا دنيـــا من شبـــاب وهـــوى ... وهي كالروضة قد تمت حلاهـــا
أحسن الايام في العصر انقضت ... آه ، لو ينشرها من قد طواها

على أن دورا لم ترد فقط بهذه الصورة السلبية في أشعار ايليا . فقد جاءت أيضا وهي تلومه وتعاتبه، وتدمعه وتناقشه ، وتذكره وتحادثه . قال :

لم أنس حين مشت الي تلومني ... لما رأتنـــي باســـما متهلـــلا
قالت : أتطرب ، والمنايا حوم ... في الارض،كيف رمت اصابت مقتلا؟
انظر فقدخلت البيوت من الشباب ... ولا جمال لمـــنزل منهم خـــلا
فسألتها: أو ليس من أجل العلى ... وهنا ناخاضوا الوغى؟قالت:بلى
يا هذه ، أأذا بكيت لبعدهـــم ... يتبسمون ؟ أجابت الحسناء : لا
كفي الملام اذن ، فما أنا جاهل ... ما تعلمين ، وكيف لي أن أجهلا؟

كسل ايليا فترة عن قول الشعر ، فاذا بدورا له

قائلة : هجرت الشعر حتـــى ... تغنى بالسخافات المغنـــي
أتى زمن الربيـــع ، وأنـــت لاه ... وقد ولـــى ، ولم تهتف بلحـــن
ونفسك كالصدى في قاع بئـــر ... ومثل الفجـــر ملتحفـــا بدجـــن
فما لك ليس يستهويك حســـن ... وأنـــت المـــرء تعشق كل حسن
أتسكت ، والشباب عليك ضاف ... وحولك للهوى جنـــات «عدن»؟
ركود الماء يورثه فســـادا ! ... فقلت لهـــا : استكيني واطمئني

وتوانى مـــرة اخرى ، فعـــادت

... تعاتبني على صمتي ــ ... وبعض القـــول حز مواسي :
اثنان ما لاقيت أقسى منهمـــا ... صمت الدجى والشاعر الحساس
فأجبتها : أقسى وأهول منهما، ... في مسمعي، هذا العتاب القاسي
قالت: أظنك قد نسيت .فقلت:لا ... ما كنت بالناسي ولا المتناســـي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واخذت تسائله يوما :

... اي المذاهب مذهبـــي ؟ وهل كان فرعا في الديانات أم أصلا؟
واي نبي مرسل اقتـدي به ؟ واي كتاب منزل عندي الاغلى ؟

وقامت تذكـره مـرة :

و ... في وجهها الق الضحى والسحر والصهباء في اقوالهـا
قالت: أينسى النازحون بلادهم؟ ما هاج حزن القلب غير سؤالها

ولا نستبعد ابدا أن تكـون دورا ـــ أيام كانت خطيبته ـــ هي تلك « المليحة » التي ساجلته وجادلتـه في قصيدة « الشاعر » ، افتاحية ديوانه الثاني . أما تلك المرأة « المتجهمة ، المرتاعة ، المتحيرة ، الواجمة، الذاهلة » في قصيدة «الدمعة الخرساء» ، والتي حاول ابو ماضي تسكين روعها ، فانها دورا زوجته (راجع مقالة سابقة في عدد أبريل ١٩٧٤ من هذه المجلة) .

لنقرأ تسكين ايليا لدورا بعد أن استمع الـى حديثها :

لا تجزعي ، فالموت ليس يضيرنا فلنـا اياب بعـده ونشـور
انا سنبقى بعد أن يمضي الورى ويزول هذا العالـم المنظـور
فالحـب نور خالـد متجـدد لا ينطـوي الا ليسطع نـور
فاذا طوتنا الارض عن ازهارها وخلا الدجى منا ، وفيه بـدور
فسترجعـين خميلة معطـارة أنا في ذراها بلبـل مسحـور
يشدو لها ، ويطير في جنباتهـا فتهش اذ يشدو وحين يطـير
او جدولا مترقرقـا مترنمـا أنا فيه موج ضاحك وخريـر
أو ترجعـين فراشـة خطـارة أنا في جناحيها الضحى الموشور
أو نسمة أنا همسها وحفيفهـا أبدا تطوف في الربـى وتـدور

لقد أحب ايليا دورا امرأته حبا الهمه أن يخلـد شخصها في شعره ، كما خلد فيه أمه سلمى ، وأخته جنى في نثره . ولا ريب في أن تخليد أبي ماضي لنسائه الثلاث ، في أدبه ، انما هو تخليد متواضع ، لا افتعال فيه ولا عيب ، وهو يعكس بحق ما دعا اليه ، عـام ١٩٢٩ ، في مقاله « المرأة في الشعر العربي » ، حيث كتـب :

« تقراهم ـــ وهم الشعراء الذين دقت افهامهم ، وصفت ارواحهم ـــ فاذا المرأة عندهم اما طرف كحيل، وخد اسيل ، وشعر طويل ، وخصر نحيل ، واما بدر يضحك عن لؤلؤ ، أو غصن يرفل في الخز ويمشـي ويتكلم ، أو ظبية تفترس الاسود ، وتشق بألحاظهـا القلوب قبل الجلود !

ثم تقراهم ـــ وهم العشاق الذين لطفت مشاعرهم، وأنار الحب قلوبهم ـــ فيشجيك منهم أنهم لا يرون في المرأة غير ما يراه منها شاب جاهل ينظر اليها من نافذة الهوى الفاني . فهي اما هاجرة تتجنى ـــ ولا شيء فيها غير أنها هاجرة تتجنى يجب استعطافها واسترحامها ، واما ممنوعة دونها الرقباء ـــ فيجـــب ذم الرقباء والشكوى منهم ، واما أنها دانية مطاوعة ـــ ولا شيء غير أنها دانية مطاوعة .

أما قلب المرأة وما فيه من الاحاجي والاسرار ،
وأما وجدان المرأة وما فيه من الاشواك والازهار والاصال والاسحار ،
وأما عواطف المرأة وهي تيار لا يتكشف الا عن تيـار ،
وأما نفس المرأة وما فيها من نور ونار ،
وأما المرأة نفسها وهي ذلك الكائن العجيـب الجبـار ،
فليس لها اثر بين في الشعر العربي منذ كان حـداء وخببا ورجزا ، الى أن صار قصائد وموشحات على كل وزن ولحن ...

ان المرأة التي عرفت في الشعر العربي هي التي كان يمكن أن يقال عنها انها جميلة. أما المرأة في أدوارها الاخرى ـــ في طفولتها وكهولتها ، وأما البنت والاخت والزوجة ، فقد خلا الشعر منها الا قليلا لا ينقع غليلا..

وكيفما عللنا هذا الامر ، فاننا نرى في الشعر العربي القديم صورة صادقة للزمان الذي قيل فيه. ولا يعاب شعرهم على ما فيه من الفراغ الهائل من هذه الناحية .. أما الذين يحق لنا أن نلومهم فهم الشعـراء المصريون الذين ما برحوا يصورون المرأة في شعرهم ـــ على ما بلغت وبلغوا هم من الحضارة ـــ كما كـان يصورها شعراء الجاهلية وغيرهم ممن جروا علـى آثارهم ...

ان المرأة اكثر من وجهها ، وشعرها ، وخديها ، وثغرها ، وجيدها ، ونحرها ، وقامتها ، وخصرها .. فليس أحق من الشعراء بالتنقيب عما في نفس المرأة وقلبها من الكنوز الثمينة. فاذا لم يفعلوا ـــ وهم الامراء في مملكة الارواح ـــ حق للناس ان يثوروا عليهم ثـورة هوجاء تدحرجهم عن عروشهم ، لانهـــم لم يحسنوا سياسة مملكتهم ..

لقد تبوأت المرأة مكانها في الشمس ، فيجب أن تتبوأ مكانها في الشعر » .

جورج ديمتري سليم
واشنطن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com





يتشرف
رئيس واعضاء
مجلس الادارة
والعاملين
في

شركة صناعة الكيماويات البترولية ش.م.ك

والوحدات التابعة لها

وحدة الأسمدة و وحدة الملح والكلورين

يأتي برفع أسمى آيات التهاني

لحضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم وولي عهده الأمين

والى الشعب الكويتي الكريم وحكومته الرشيدة

أسمى آيات التهاني

بمناسبة عيد الفطر السعيد

أعاده الله على الأمة

العربية والاسلامية

باليمن والبركات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



خالد صالح الغنيم

رئيس مجلس الأمة

يتقدم الى صاحب السمو

أمير البلاد المعظم

الشيخ صباح السالم الصباح

والى سمو ولي عهده الأمين وحكومته

الرشيدة والشعب الكويتي الكريم باطيب التهاني

والتبريكات

بمناسبة عيد الفطر السعيد

أعاده الله على الأمة

العربية والاسلامية

باليمن والبركات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



« البرشت دورر »
لوحة « وجه شاب » رسمها بالالوان الزيتية على خشب .. انه شاب عادي وليس من نبلاء الاقطاع .. لاول مرة موضوع اللوحة الشخصية ،



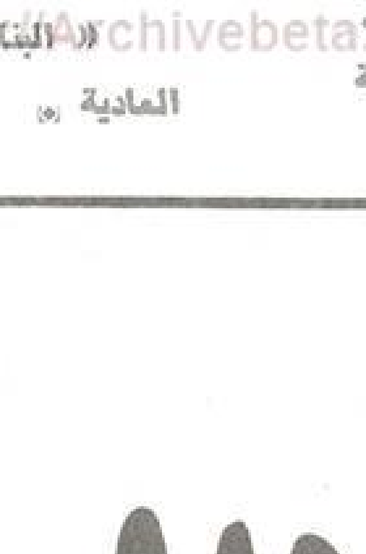
« البرشت دورر »
« البناء » احدى لوحات الفنان التي رسمهـــا للشخصيات العادية »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البرشت دورر

فنان عصر النهضة الالماني

بقلم صبحي الشاروني



تستحوذ ايطاليا عادة على معظم الصفحات التي تخصصها كتب تاريخ الفن لفنون « عصـــر النهضـــة » (١٤٥٠ ــ ١٦٠٠ ميلادية) .

ولكن هناك فنانا المانيا ، بدأت شهرته في السنوات الاخيرة ، تضعه في مرتبة موازية لاشهر فناني ايطاليا وعباقرتها في ذلك العصـــر .. لان نيوع صيتـــه جعل الجيل الحـــالي يدرك مدى عظمة اعماله وجمالها .

هذا الفنان هو البرشت دورر .. وقد تعرف العالم كله على مـــدى عبقريته عندما تنافست كل مـــن المانيا الشرقيـــة والمـــانيا الغربيـــة

ـ عام ١٩٧١ ـ على الاحتفال عالميا ، بمرور ٥٠٠ عام على مولده .. فقد ولد في ٢١ مايو (أيار) سنة ١٤٧١.

وقد خصصت هيئة اليونسكو عام ١٩٧١ للاحتفال بهذه الذكرى ، فتسابقت كل من الدولتين الالمانيتين على طبع نسخ من لوحاته بنفس احجامها الاصلية ونفس الوانها ، لتقيم بهذه « المستنسخات » الباهظة التكاليف لدقتها وضخامتها معارض في جميع انحاء العالم .. وصدرت عنه الكتب والنشرات بمختلف الاحجام والطبعات .. وكانت من مهام الملحقين الصحفيين في السفارات والمفوضيات الالمانية القاء المحاضرات وعقد الندوات حول فن البرشت دورر وعظمته .

وهكذا حقق التنافس السلمي في المجال الفني دعاية هائلة لهذا الفنان .. مما جعله يحتل مكانه الصحيح في تاريخ الفن الى جوار مايكل انجلو و ليوناردو دافنشي ورافاييل

عبقرية مبكرة

اخطأ المؤرخ الكبير فاسبري عندما اعتقد ان البرشت دورر من أصل هولندي او فلمنكي .. ربما لانه زار الاراضي الواطئة وعاش في ريفها عاما كاملا مع اسرته .

هذا في حين ان اباه كان مجريا وهاجر الى نورمبرج حيث انجب ابنه الثامن عشر البرشت من زوجته « بربارا » .. وكانت مهنة والده هي صياغة الحلى .. فالتحق الابن بورشة ابيه عام ١٤٨٤ وعمره ١٣ عاما فقط ، وظل يتعلم ويساعد والده لمدة عامين كاملين اكتسب خلالهما خبرة تامة بهذه الصناعة ، وقد رسم في تلك الفترة اول صورة شخصية لوجهه ، بأن حفرها على الفضة بالابرة المخصصة لذلك .. وكان دورر ـ فيما بعد ـ اول فنان ادخل الصورة الشخصية للفنان ضمن موضوعات فنون الرسم .. وهناك لوحة رسمها عام ١٤٩١ بالحبر الشيني الاسود لوجهه تعتبر اقدم اثر فني لهذا النوع من الرسم .

لقد طلب الفنان الصغير من والده عام ١٤٨٦ ان يتركه ليتعلم الرسم .. فالتحق لمدة ثلاث سنوات بمرسم المصور ميخائيل فولجموت ، وهو احد مشاهير فناني مدينة نورمبرج في ذلك الوقت ، حيث تعلم اصول فن التصوير الزيتي ، وتدرب على فن الحفر (الجرافيك) من خلال علاقته ـ بوالده في العماد ـ التون كوبرجر الذي كان خبيرا في شئون الطباعة وتاجرا للكتب ... وكان دورر قد ألم بأصول هذا الفن في ورشة صياغة الحلى عند أبيه .

كان الفنان قد تفوق واستوعب كل ما لدى استاذه فولجموت خلال ثلاث سنوات فقط .. فارسله ابوه عام ١٤٩٠ ليقضي اربع سنوات متجولا في جنوب المانيا وفي اسبانيا وسويسرا .. عاد بعدها الى نورمبرج مسقط راسه حيث تزوج وأسس مرسمه الخاص اذ اصبح فنانا معتمدا على نفسه .

التطلع الى فينسيا

كانت ايطاليا بالنسبة لفناني ذلك العصر هي قبلة الفنانين .. وكان البرشت دورر يتوق الى زيارتها والتعرف على فنانيها وخاصة جيوفاني بلليني الذي كان في نظره اعظم فناني ايطاليا .. كان يتمنى ان يحظى باعترافه بموهبته .. فسافر اليه .. الى « فينسيا » عبر جبال الالب في رحلته القصيرة الاولى الى ايطاليا .

وعندما التقى دورر ببلليني فوجيء الاول بأن صيته كان قد سبقه .. فتوطدت العلاقة بينهما ، وكان جيوفاني بلليني شديد الاعجاب باسلوب الفنان الالماني في رسم شعر الراس واللحية .. حتى انه طلب منه ان يبيعه احدى ادواته التي يرسم بها الشعر .. وعندما عرف انها فرجون عادية تأكد ان روعة الرسم ليست بسبب الادوات وانما لمهارة الفنان الذي يستخدمها .. فأصر بالحاح ان يبيعه « دورر » احدى لوحاته بأي ثمن .

في هذه الرحلة رسم الفنان عددا من المناظر الطبيعية التي اعجبته وهو في رحلته عبر جبال الالب .. فكان أول مصور اوربي يرسم المنظر الطبيعي في لوحات مستقلة ، بينما كانت في لوحات معاصريه ومن سبقوه مجرد خلفية للموضوعات والاشخاص ، وتقوم بدور ثانوي داخل التكوين العام للوحة .

وبعد زيارته القصيرة الى فينسيا عرف الفنان خارج حدود المانيا .. فازداد الاقبال على لوحاته ، واصبح يكلف بالكثير من الاعمال الفنية .. وفي نفس الوقت تعددت موضوعاته وتنوعت اساليب تنفيذها .

وبعد ١٠ سنوات ، أي عام ١٥٠٥، عاد الى زيارة ايطاليا زيارة استغرقت عامين .. وخلالها عرضت عليه بلدية فينيسيا التجنس بجنسيتها والاقامة الدائمة بها .. ولكنه رفض وفضل ان يظل مخلصا لبلده .

عصر النهضة

ترجع قيمة البرشت دورر في تاريخ الفن الى عدة اسباب .. على راسها انه كان مرآة لعصره .. ولانه احتل موقعا هاما في ذلك العصر .

ويعتبر عصر النهضة من اخصب فترات الابداع الاوربي .. حيث انعكست في الفنون صراعات وتناقضات تلك المرحلة .. وقد ارتكز الفن على عدة مصادر دفعت به الى افاق عالية .. اولها ظروف الصراع بين الاقطاع تسانده الكنيسة الكاثوليكية من ناحية والرأسمالية الناشئة معتمدة على ثورات الفلاحين وعلى الاصلاح الديني قادة مارتن لوثر في المانيا منشيء البروتستانتية من ناحية اخرى .

وثانيها هو ما يسمى بالانسانيات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



« البرشت دورر »
جزء تفصيلي من لوحة محفورة على النحاس لطبعها .. اسمها « استراحة اثناء الطيران » وهي من اول اللوحات المستقلة للمنظر الطبيعي .



« البرشت دورر »
لوحة « فرسان سفر رؤيا يوحنا » وتصور باسلوب فن الحفر جانبا من سفر الرؤيا ، اخر اسفار الكتاب المقدس الذي يتضمن نبوءات يوحنا اللاهوتي عن نهاية العالم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويقصد به الالتفات الى التراث الفكري والفني للاثار الاغريقية القديمة ، وعودتها الى الفن كموضوع ، او التعبير عن قصص واحداث الانجيل — وكان قد ترجم الى اللغات الاوروبية المختلفة واصبح واسع الانتشار — باساليب تحاكى الفن الاغريقي الكلاسيكي .

هذا فضلا عن الميراث القوطي الفني والذي كان سائدا في العصر السابق عليه .. ثم انتشار صناعة الورق واختراع الطباعة مما سهل استنساخ وطبع العديد من اللوحات المحفورة على الخشب او النحاس .. بالاضافة الى انتشار روح البحث العلمي وعبادة الجمال ...

دور الفنان

في عام ١٥١٨ كان مارتن لوثر قد اعلن الثورة البروتستانتية على الكنيسة الكاثوليكية عندما علق على بوابة كنيسة دينمبرج بنوده الخمسة والتسعين التي تندد بصكوك الغفران البابوية وغيرها من مساخر السلطة الدينية والاقطاعية ..

ولكن دورر كان يلقى رعاية لا توصف في بلاط الامبراطور الكاثوليكي مكسمليان الاول .. وقد سبب له هذا الوضع حرجا بالغا .. لان « عواطفه » مع الثورة و « بطنه » مع الامبراطور .. فكان فنه يحمل كل سمات التحرر والعطف على الافكار الجديدة . عندما جعل الرجل العادي بطل لوحاته واعطاه اهميته في الرسم بعد ان كان يقوم بدور ثانوي في اللوحات الكنسية ..

ورسم القديسين كأناس عاديين يقاسون ويتعذبون ويمرون بالتجارب وينفعلون كالاخرين بعكس الفن السابق عليه في العصور الوسطى الذي كان يحرم على الفنانين اظهار القديسين في حالة من حالات الانفعال العنيف ..

ثم اهتم بفن الحفر (الجرافيك) وتطور به للتعبير عن رسالته العالمية في الفن .. وهذا النوع من الرسم يجعل اعمال الفنان متيسرة لعدد كبير من الناس لارتباطه بالطباعة والاستنساخ .. فهو ليس فن

القصور والاباطرة وانما فن الطبقات الجديدة القادرة على الشراء باسعار تناسبها .

وكان الدين بالنسبة لالبرشت دورر شيئا اخر غير الطقوس والتعاليم .. كان روحا داخلية ، وتطلعا نحو المطلق ، كما لم يكن العمل الفني مجرد اتقان حرفي وانما كان نظريات وفلسفات تركز على مجموعة من الاصول العامة التي حاول ان يظهرها في كتاباته المتعددة وهو من خلال هذه الكتابات القى الضوء على منهجه في البحث المستمر عن السحر الكامن خلف الاشكال وعن العلاقات بين الجزء والكل في العمل الفني وعن معنى التناسق والتوازن والتوافق في الفن .

وتفكير دورر وفلسفته في الفن تظهر بوادرها في اعماله المبكرة ثم تفصح عن نفسها في اعماله بعد ان تم نضجه .. حيث تتجلى الشاعرية الاسطورية في اسلوب البناء الفني الذي اتسمت به اعماله مع عناية تامة بالمنظور الذي كان من اكتشافات عصره .

عظمة دورر

لقد اعتبر البرشت دورر اعظم فناني عصر النهضة الالمان لتعدد مواهبه .. فقد كان رساما وحفارا على الخشب والمعدن ومصورا ومزخرفا وخطاطا .. وصاحب نظريات في الفنون ومهندسا . انه يشبه في كثير من الوجه ليوناردو دافنشي ، وفوق كل ذلك فقد كان واسع الثقافة متتبعا لاحداث عصره ومشاركا فيها . لانه اجتهد وشارك في المناقشات الدائرة في زمنه ... فضلا عن انه استوعب خبرات الفن الايطالي والفن الفلمنكي المعاصرين له والفنين القوطي والاغريقي السابقين عليه .

الا ان اروع ما تركه لنا دورر هو مجموعة رسومه واعماله المحفورة على المعدن والخشب .. فهي تمثل مراحل تطوره وقمة نضجه فهي متنوعة في موضوعاتها وفي اساليب تنفيذها ثم ثرائها عدديا حتى تجاوزت الالف .

وفيها تتمثل مصادر الهامه وتنوع خبراته ونزعته الانسانية واعماقه الدينية وحيويته الفائقة في الاداء .. وكانت لديه الموهبة التي تتيح له استخراج اعماق نماذجه البشرية وتسجيلها على لوحاته من خلال ملامحها الخارجية .. ولهذا تميزت لوحاته بمذاق خاص ودفء في المشاعر .

وقد صور في اواخر ايامه لوحة تصور ، اربعة من تلاميذ المسيح (الحواريون الاربعة) لها اهمية خاصة باعتبارها اخر اعماله وباعتبارها اعلانا صريحا عن موقفه من التحول الفكري الذي حدث في المجتمع .

وقد اهدى هذه اللوحة الى بلدية نورمبرج وارفقها بخطاب رقيق متواضع يعلن فيه رأيه وموقفه .

وفي سنة ١٥٢٨ مات الفنان الكبير عن ٥٧ عاما بعد ان استطاع ان يحول الانظار من جنوب القارة الاوروبية الى شمالها ويجعل من بلاده المانيا ندا في الفنون « لايطاليا النهضة » ..

صبحي الشاروني
ـ القاهرة ـ



« البرشت دورر »

لوحة من فن الحفر تصور فلاحا وامراة في السوق .

لقد سجل الفنان مختلف الموضوعات . ويلاحظ التاريخ اعلى الصورة وهو ١٥١٢ وتوقيع الفنان في اسفلها .



« البرشت دورر »

جزء تفصيلي ليدي الفنان تمسك بفصن اخضر من لوحة رسمها لنفسه ، ويلاحظ المهارة والحيوية والتجسيم .. ان الفوتوغرافيا لا يمكن ان تحقق مثل هذه الحيوية والحرارة في الاصابع .



هكذا كان يوقع الفنان « البرشت دورر » على لوحاته .. بالحروف الاولى A و D بعد تداخل الحرفين في تركيب جميل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

آه لو عدنا



حزين مع الجي قراق

شعر/ محمد علي الرباوي

آه لو عدنا وغنينا الهوى لحن الخلود
لو نفضنا السحب والليل ووحدنا الحدود
لو دفنا الحقد والاشواك في كهف اللحود
وزرعنا روضنا الواسع معسول الورود

★ ★ ★

نحن يا حلو بريئان غزا الجن هوانا
كان وسواسا وخناسا وشيطانا وكانا
حسبه انا افترقنا .. آه لو تم لقانا
آه لو عدنا وغنينا الهوى لحن الخلود
وزرعنا روضنا الواسع معسول الورود

★ ★ ★

ليس عيبا ان محونا شبح السحب العميق
ليس عيبا ان سكبنا الماء في قلب الحريق
انما العيب اذا عشنا غريقا وغريق
آه لو عدنا وغنينا الهوى لحن الخلود
وزرعنا روضنا الواسع معسول الورود

★ ★ ★

يا حبيبي .. طالما عشنا بعيدين نلاقي
من دجي الليل ونحيا بين انياب الفراق
آه لو قرب هذا الدهر أيام التلاقي
آه لو عدنا وغنينا الهوى لحن الخلود
وزرعنا روضنا الواسع معسول الورود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أيه يا رقراق ، هل تذكر أيامي الخوالي
حيث كنت الشاعر الجوال في وادي الخيال
يعبد الحب بطهر وخشوع وابتهال
ويغنيه مساء وسط محراب الجمال
بينما تسجد للحن بقدس وجلال
مثلما تسجد للسهل عناقيد الدوالي
كلما هب نسيم ساحر البسمة غالي
أيه يا رقراق .. أصبحت صموتا كالليالي
بعدما كنت تغني بمقام جد عالي
جعل الماء يصلي فوق فستان الرمال
كل شيء هاهنا داسته أقدام الزوال
هكذا الدنيا : مقام بعده لحن ارتحال

محمد علي الرباوي
ـ الرباط ـ

● ابو رقراق : نهر يشق مدينة الرباط .

أحداث وأحاديث

هذه عودة ، من جديد ، الى « الاحداث والاحاديث » .. ذلك الباب الادبي الاخباري المنوع .. الذي سبق أن ظهر في « البيان » في اعداد متتالية سابقة ، وفي فترات متفاوتة ...

نعود اليه ابتداء من عددنا هذا .. والامل يحدونا في استمرار ظهوره كل شهر ، ما استمرت « البيان » في الظهور ... هذا ، مع ضرورة تعاون « ربع » الرابطة (أي : أهل رابطة الادباء في الكويت) في تغذية الباب المفتوح لهم جميعا دون استثناء ، باخبار نشاطهم الفكري وطرائف اللقاءات الفكرية على ارض الكويت ، بوجه خاص ، وعلى ضفاف خليج العرب بصفة عامة .. ليصبح هذا الباب من بعد ، من تحرير الجماعة كلها ، لا من اعداد فرد واحد احد ... وقد قيل بحق : يد الله مع الجماعة ...

حياكم الله يا جماعة .. والى لقاء ،،،

« عصام »

كتابات فرنسية



عرض : عصام عسيران

بين يدي الان **مجموعة من مجلات الفكر والادب والفن ، الصادرة في فرنسا اخيرا .. ادعو قارئي الكريم الى جولة قصيرة بين بعض موضوعاتها .. آملا ان تتسع جولاتنا القادمة للاطلالة على مختلف الشؤون الفكرية : العربية والمحلية .**

● ها هو ، أولا ، كاتب شاب يدعى (الان دامياني) .. يزجي تحية تقدير واعجاب واجلال لاولئك الصحفيين المراسلين في ميادين القتال — أو المراسلين الحربيين — بمناسبة استشهاد أحدهم .

فبعيدا عن المكاتب المرفهة .. وبعيدا عن الكتابة السهلة المنقولة عن السماع — سماع ما يقال ... — يذهب أمثال هؤلاء المغامرين ، غير عابئين بالخطر ولا بقسوة المناخ .. تدفعهم الحماسة ، ويلهب نفوسهم الشوق الى استطلاع الحقيقة في عقر دارها .

وركوبهم المخاطر في سبيل أداء مهمتهم ، يكسبهم مسلك الحيوانات البرية الصغيرة المتوحشة ، المتسللة الى النواحي غير المأمونة .

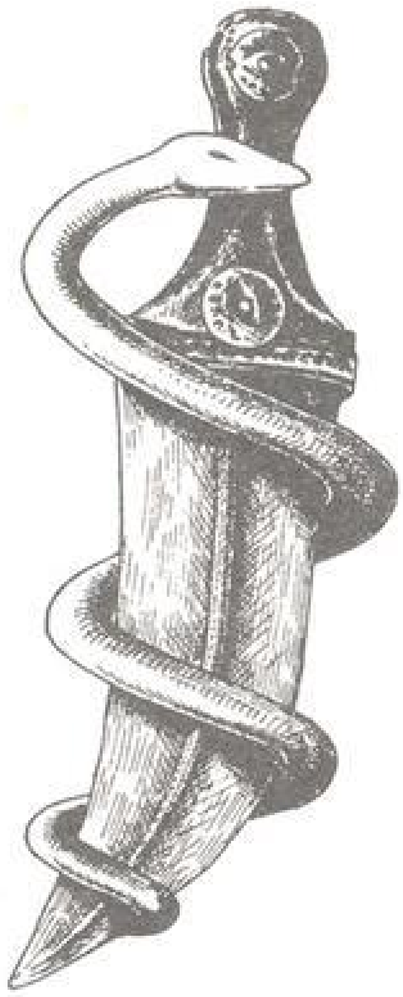
انهم ، في الحقيقة ، هم الذين يمنحون للصحافة مجدها الاكبر وأروع انتصاراتها . ومع ذلك — أو ربما لاجل ذلك — يحسدهم الكثيرون .. وينتقدهم الكثيرون أيضا ... لعلهم ينعون عليهم تنقيبهم عن الحقيقة الدفينة .. أو لعلهم كانوا يتمنون لو يفوزون بما فازوا .



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com







وحينما يقع المراسل الحربي ضحية استطلاعه واستكشافه للحقائق ، نجد الافواه تصمت ، والعيون تشيح عن التطلع الى عظمة استشهاد ذلك المكافح بقلمه وآلة تصويره ... ولا نجد صوتا واحدا يلوم ذلك المقاتل الجبان الذي يخيفه وميض (ملاقط الكاميرا) ، فيرد عليه بالنار والحديد والموت الزؤام !!

★ ★ ★

● الجانب الشعري في كتابات الفيلسوف الالماني المعروف (فريديريك نيتشه) ظل مطموس المعالم ، بسبب طغيان شهرة صاحبه الفلسفية ، حتى كشف النقاب عنه مؤخرا ديوان مزدوج اللغة : بالالمانية والفرنسية ، صدر في فرنسا عن دار جاليمار ، مثبتا للملأ ان صاحب (هكذا تكلم زرادشت) ليس اقل شاعرية من كثير من الشعراء الاوروبيين .

من شعره المنشور ، هذه الكلمات :

« المنـــــــــار »

الروحُ فيَّ هيَ تلك الشعلة ..
المفتونة أبدا بكل ناءٍ لا تطاله ،
جذوتها الهادئة دائمةُ السموِّ الى اعلى
ما لزرادشت .. يفرُّ من الانسان والحيوان ؟
ما الذي يحفزه على الأعراض فجاة عن المحيط ؟
لقد عـــرف العزلةَ ست مرات ...
حتى البحر ، لم يكن بالنسبة له كافيا لاكتمال عزلته !
المجزيرة المنحدرة الصخور دَعَتْه اليها ،
فزرع في قمتها مشاعل ...
وفي سعيه الحثيث نحو عزلته السابعة ،
كان يُلقي بسنارته والشباك بعيدا بعيدا ....
فيا أيها البحارة التائهون ! يا ومضاتِ الافلاك السرمدية.
ويا محيطات المستقبل !.. يا سماواتٍ بكْر !
انا انما القي بسنارتي الى كل القابعين في عزلة ،
مترقبـــا نفادَ الشعلـــة ...
فهـــلاّ أسرتَ الشعلـــةَ من اجلـــي
يا صيادَ اعلـــى القمم ؟ !
لان عزلتي السابعة والاخيرة
ستكون لي أنا وحدي ...

★ ★ ★

● وضمن منشورات (الفكر الحديث) بباريس ، صدر هذا العام كتاب (من ١٩٠ صفحة) لكاتب فرنسي شاب يدعى : (الان سان هيلير) — يزور الكويت بين آونة واخرى — ، وعنوان كتابه طويل :

« عدت من اليمن أحمل منها الخبر اليقين »

وحديثه فيه عن معالم نهضـــة اليمن الحضارية الحديثة ، حديث شيق من جوال ذكي منصف .

وكتابه هذا يذكرنـــا بكتـــاب الطبيبة الفرنسيـــة

المغامرة (كلودي فايان) : « كنت طبيبـــة في اليمن » المنشور سنة ١٩٥٢ في فرنسا ، والذي نقله الـــى العربية : (محسن أحمد العيني) ، وقدم له : (محمـد محمود الزبيري) ونشرته دار الطليعة في بيروت .

و (كلودي فايان) ــ التي تستحق أن تحيـــي صحافتنا العربية نشاطها الانساني وتسلط على جهادها الاضواء ــ كانت قد عملت في اليمن الشمالي بالطـب في عهد الامام الراحل أحمد .. ورأت بأم عينها من المآسي ما يشيب الرؤوس .. تحدثت عنها في كتابها المذكـور عقب عودتها الى فرنسا في الخمسينات .

وقبل ثلاث سنوات ، استدعتها الحكومة اليمنية من جديد ، وأوكلت اليها تأسيس مركز للتراث الشعبي في صنعاء ، بالاضافة الى عملها الانساني في حقل العلاج والمواساة والارشاد الاجتماعي .

(الحكيمة) فايان ــ كما يدعونها هناك ــ صدر لها في فرنسا في حزيران الماضي ، كتاب جديد عن اليمن الحديث .. نأمل أن يكون بين يدينا قريبا ، لنستعرضه لقراء « البيان » ونحلل ما فيه ، تمهيدا لترجمته ، بأذن الله .

★ ★ ★

● الاحتفال السنوي في نيس ــ عند ساحل فرنسا الجنوبي ــ بمهرجان الكتاب ، حظي هذه السنة (مايو ١٩٧٥) بنجاح جماهيري منقطع النظير .. ساهمـت بتوفيره مختلف وسائل الاعلام حينما حرصت علـــى ابراز المهرجان كحدث هام يجدر الاحتفاء به .

وقد أقيمت خلال المهرجان عده ندوات حـول الصناعة المكتبية والتصورات المطروحة لتعـزيز شان الكتاب وتعميمـه .

ونورد هذه الاشارة الخاطفـــة بمناسبة اعتزام (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب) في الكويت اقامة مهرجان للكتاب العربي ومعرض كبير له فـي الكويت ، في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) القادم ...

★ ★ ★

● جاء في العدد (٢٤٩٣) الصادر في ٧٥/٧/٧ مـن مجلة « الاحـــداث الادبية » ــ لي نوفيل ليتريير ــ الفرنسية ، ان « رابطة كتاب اللغة الفرنسية » التـي يرئسها الاديب « روبير كورنفان » قد منحت « جائزة افريقيا المتوسطية » لعام ١٩٧٥ ، للشاعرة اللبنانيـة الاصل ، المصرية المولد ، الفرنسية الجنسية ، السيدة (أندريه شديد) ... تقديرا لكتابها الجديد :

« نفرتيتي .. وحلم أخناتون »

كما خصت بالتقدير مؤلفات الادباء : جاك لوتي ، نبيل فارس ، رشيد بورويبة ، سليمان حربي ، وبلفانم.

وبمناسبة ايراد هذا الخبر ، لا بد من الاشـــارة الى سابق ترجمتي لمسرحيتين (من أصل ثلاث) مـــن تأليف السيدة اندريه شديد ، هما مسرحيتا :

ــ « العارض » : Le Montreur

ــ « بيرينيس المصرية » : Bérénice d,Egypte

اللتان نشرتا في أبريل (نيسان) ١٩٧٥ ، ضمن العـدد (٦٧) من سلسلة المسرح العالمي الصادرة عن وزارة الاعلام في الكويت .

الا أن التشويه الغبي الحاقد ، الذي الحقه بالنصّ العربي المُتَرْجَم ، شخصٌ نكِرة كُلِّفَ خطأً بمراجعـــة ما ليس هو جديرٌ حتى بقراءته ... هذا التشويه المتعمَّد يضطرني الآن الى الأمرَيْن التاليين :

أولا ــ اعادة طبع ترجمتي الاصلية للمسرحيتـين المذكورتين ، على نفقتي الخاصـة ، وذلك في أقـرب وقت ممكن .

ثانيـا ــ التحذير من اعتماد النص المترجَم الذي نشرته سلسلة المسرح العالمي « الكويتية » ــ في عددها المذكور اعلاه ــ كنص سليم العبارة . بل يقتضي اعتباره لاغياً .. الى أن تصدر قريبا الترجمة الاصلية غـــير المشوَّهـــة !!

... وهذا هو درسٌ وعبرة لمن « يبيع » أدبه في .. « سوقِ الحَرَّاج » !! ...

الكويت ــ عصام عسيران

مفهوم القدر في ثلاثية سوفوكليس

" انتيجونا - اوديبوس - اوديبوس في كولون "

جميل عطيه ابراهيم



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة

يتناول هذا البحث بالدراسة مفهوم القدر في ثلاثية سوفوكليس « انتيجونا » ، « اوديبوس ملكا » ، « اوديبوس في كولون » .

ونود قبل مناقشة مفهوم القدر ، الاشارة الى عدة ملاحظات اساسية تتعلق بمنهج هذه الدراسة السريعة .

● أولا — رأينا عدم تلخيص المسرحيات الثلاث ، على ان نورد فقرات منها فقط عند ابداء رأي معين، وقد اعتمدنا بشكل اساسي على ترجمة الدكتور طه حسين الرائعة لـ « اوديبوس ملكا » و « انتيجونا » وعلى ترجمة الدكتور على حافظ لـ « اوديب في كولون » وعلى الفصل الذي كتبه بيرنارد نوكس عن اوديبوس في « روائع التراجيديا في ادب الغرب » ترجمة الدكتور محمود السمرة ، عند مناقشة المسرحية .

● ثانيا : رأينا عدم الاشارة الى اعمال سوفوكليس الاخرى أو ذكر اضافاته بالنسبة للتراجيديا،وقصرنا كلامنا على المسرحيات موضوع البحث ، ومن المعروف ان سوفوكليس (٤٩٥ ق م — ٤٠٦ ق.م) قد غنى وهو صبي في جوقة احتفالات الشكر بانتصار اليونان في موقعة سلامين ، وكان معاصرا لاسخيلوس ، وزاد عدد الممثلين الى ثلاثة امثال ووسع مجال الحركة الدرامية ، واضاف الى المسرح استخدام المناظر ولكنه وجد أن الكتابة على هيئة ثلاثية مثلما فعل معاصره والرواد الاول (اسخيلوس) لا تناسب ذوقه ، ومن ثم راح يؤلف على النطاق الاصغر الذي يشمل مسرحية واحدة . فكتب «انتيجونا» ٤٤٢ ق.م ، ثم كتب « اويديبوس ملكا » بعد عام ٤٣٠ ق.م اي بعد ما يزيد عن اثني عشر عاما ثم ظهرت « اويديبوس في كولون » عام ٤٠١ ق.م. اي بعد موته بخمس سنوات وقد تولى انتاجها حفيده .

وقد رأينا أن نسرد هذا التسلسل التاريخي لكتابة هذه التراجيديا العظيمة ، بسبب هام ، وهو أن

القراءة غير المتأنية التي تعطي للقارىء انطباعا خاطئا ، وهو أن هذه ثلاثية تراجيدية متكاملة تبدأ بـ «اوديبوس ملكا » وتنتهي بـ « انتيجونا » ولكن اذا عرفنا أنها مجموعة تراجيديا مستقلة ، كتبت في سنوات متباعدة ، وتبدأ بانتيجونا ، لتغير كثير من المفاهيم خاصة فيما يتعلق بمفهوم القدر وهو موضوع هذا البحث .

● ثالثا : اننا نعرف أن التعرض لهذه الثلاثية ونستخدم كلمة ثلاثية هنا تجاوزا والتي تتضمن المسرحية الشهيرة «اوديبوس ملكا » وهي المسرحية التي لها اهمية خاصة فقد بنى عليها ارسطو تعريفاته ، كما انها ظلت تعاد كتابتها وتناقش على مر الاجيال لا من المسرحيين فقط ، ولكن من الاخلاقيين والمؤرخين وعلماء النفس وغيرهم .. وهذه المسرحية التي توصف بأنها تمثل الفن في طبيعته الاساسية وتمام كماله ، تثيرعشرات المشاكل ووجهات النظر المختلفة وكما يقول فيرجسون بأنها تمثل هولة تصفح كل من يتعرض لتفسيرها ولذلك فاننا سوف نتعرض لها في حذر شديد نظرا لضيق هذا الحيز واضعين في الاعتبار أن البحث يتناول مفهوم القدر في هذه الثلاثية وليس اوديبوس ملكا فقط .

● رابعا : يقول أرنولد توينبي المؤرخ العالمي في كتابه عن تاريخ الحضارة الهلينية أن نظام المدينة الدولة لا يمثل في حد ذاته سمة مميزة لطريقة الحياة الهلينية ، ان ما يميز الحضارة الهلينية هو هفية استفادتها من هذه المنظمة ، لقد عبر الفيلسوف الهليني بروتا جوراس في القرن الخامس ق.م عن هذهالنظرة في قولته المشهورة « ان الانسان هو مقياس كل شيء » وهي الجملة التي سوف تقابلنا كثيرا عند دراستنا لاوديبوس ملكا . لقد كان على الحضارةالهلينية بعد سقوط الحضارة الميونية في طوفان الغزو البربري وانمحت اثار الماضي محوا تاما ان تبدأ حياتها بأن تعيش على تراثين خلفهما البرابرة هما الملاحم التي تنسب الى هوميروس ومجموعة من الآلهة التي لم تكن رموزا على تقلبات الطبيعة الغامضة ، وكان هؤلاء الالهة الاوليمبيون نسخا تنبضبالحياة لنماذجها الانسانية الاصيلة وان كانوا يتميزون بوجه خاص بسوء سمعتهم، وقد استقر بهم المقام على جبل اوليمبوس واخذوا في الهيمنة على الكون من هذا الوكر الرائع للصوص .

وكان الهيلينيون يبحثون عن عبادة عوضا عن الآلهة الاولمبية ، وما حدث هو انهم اخذوا يتأرجحون بين ضربين من ضروب عبادة الانسان او عبادة قوة البشر الجماعية في صورة المدن الدول المحلية .

وكما يقول توينبي ، لم يشعر الهيلينيون بالاطمئنان قط لممارستهم عبادة الانسان ، حتى في اشكالها المبسطة التي لاتعد مخلة للعار وكان شاهد قلقهم ذلك الخوف الذي كان يسيطر عليهم من أن يرتكبوا جرم « الهيبريس Hybris » أي بعد ذلك الكبرياء والصلف اللذين يجلبان على الانسان حنق الالهة وعقابهم ، ولقد أدرك الهيلينيون أنه ليس باستطاعة الانسان أن يؤله نفسه ويفلت من القصاص .

والخوف من الكبرياء القاتمة يمثل قيمة « Theme » اساسية في الادب الهليني ، ونلحظه في اعمال سوفوكليس مجال البحث .

لقد دعا أداء الواجب أن يقاتل سوفوكليس في سبيل قضية خاسرة، فقد كانت الحملة الاثنية علىساموس عام ٤٣٩ ق .م ، ظلما وعدوانا، وكانت مثل هذه التجربة تنذر بوقوع صراع بين الدولة والضمير وهذا هو في الواقع موضوع مأساة انتيجونا .

ان فهمنا للرموز الواردة في هذه النصوص يتطلب منا فهم الحياة الهلينية فهما جيدا ، وعلى سبيل المثال بالنسبة لموضوع النبوة الذي يواجهنا في معظم الاعمال الاغريقية فقد كانت تشترك فيمعبد دلفى ،الالهة التي كانت تشغله في الاصل وهي الالهة البدائية « الارض » بالاضافة الى الهين دخيلين تلا احدهما الاخر هما ابولو وديونيسوس وكان يعلن عن الوعي باسم الاله ابولو بواسطة نبيه في حالة غيبوبة واستغراق ، ثم تقوم هيئة كهنة ولفى بنظم اقوالها قبل القائها على الجمهور وهذا الجمهور الذي كان يضم حكومات مدن وافرادا على حد سواء ، يبغي الحصول على معلومات عن المستقبل ولم يكن في وسع الوحي أن يتجاهل بأية حال هذه الرغبة الفجة .

وسعى الوحي الى صون سمعته خشية عدم ثبوت صحة اقواله ، بأن اصبح استاذا لا يبارى في الغموض ، وقد حدث مرةأن اخطأ في التنبؤ باحتمال انتصار الغازي ، وجلب على نفسه العار بأن نصح سائل مشورته بعدم المقاومة .

فاذا رأينا ان اوديبوس في « اوديبوس ملكا » يحاول تحدي القدر والهروب من النبوة ، فقد كان لذلك سوابق ، فالكهنة في معبد دلفى لم يكونوا على صواب دائما .

وهذا يوضح لنا اصرار اوديبوس علىالتحديواقترافه للاخطاء الجسام كما سوف نوضحه فيما بعد عند مناقشتنا للمسرحية .

واننا نرى انه بقدر فهمنا للحضارة الهلينية يكون فهمنا لهذه النصوص الثرية .

.. انتيجونا

في « انتيجونا » سيطر سوفوكليس على العناصر المتعارضة في هذه المأساة التي تتناول الصراع بين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القانون الالهي والقانون الانساني ، فانتيجونا تدفن جثمان أخيها الميت رغم المرسوم الذي أصدره قريبه « كريون » فتعاقب على عصيانها ، ولكن كريون ايضا يفقد ابنه وزوجته، ويتحطم قلبه .

وقد استفاد سوفوكليس من اسطورة « اوديبوس » وهي الاسطورة التي ترددت منذ أبعد العصور ، فقد تحدثت بها الاوديسه في نشيدها الحادي عشر ، كما تحدثت بها اقاصيص طيبة نفسها بعد ذلك ــ ولولا أن كانت اسطورة « اوديبوس » مرآة تنظر فيها اثينا في القرن الخامس فترى مصيرا يشبه مصيرها ما اجمع شعراء التراجيديا في اثينا على أن يكتبوا جميعا عنها .

فانتيجونا ، تبدأ بالحديث الى اختها « اسمينا » ، فتقول لها : « أيها الاخت العزيزة تعرفين عدد الآلام ومقدار الشقاء الذي أورثناه اوديبوس ، والذي اراد زوس أن ينغص به حياتنا كلها » .

ويعتمد سوفوكليس على اسطورة « اوديبوس » الشائعة ، عندما تقول الجوقة « ان اخلاق اوديبوس لتظهر واضحة شدة لا تعرف اللين ، وعزة لا ينال منها الشقاء » .

كما يتضح ذلك أوضح ما يكون في قول اسمينا لانتيجونا وهي تلخص مأساة العائلة :

« آه .. تدبري ايتها الاخت ان ابانا وقد اثقله العار والبغض قضى بعد أن فقأ عينيه بيده معاقبا نفسه على ما اقترف من اثم حين عرفه ، وانه لم يكد يفعل ذلك حتى استعانت هذه الملكة التي قضى عليها الشقاء المضاعف أن ترى نفسها في وقت واحد اما وزوجا »

وهذه الفقرات المقتطفة من نص تراجيديا « انتيجونا » توضح لنا بمالا يقبل الشك أن سوفوكليس وهو يعالج موضوعه كانت اسطورة اوديبوس المعروفة في اثينا ماثلة امام عينيه ، يأخذ منها ما يثري موضوعه ويطوعه كما يريد دون أن ينساق وراء الاسطورة وتفاصيلها ، بل يأخذ منها بقدر محسوب ، محافظا بذلك على السمة الرئيسية للادب الاغريقي بصفة عامة ، والتي تؤدي كما يقول « س . باورا » الى حذف كل ماهو غير جوهري في نسيج خطة العمل المتكامل ، ويتوصل ذلك الى تحقيق تأثيره خلال القوة التي :تميز بها كل جزء في مكانه الصحيح . وقد كان للاغريق غريزة صادقة تهديهم الى كل ما ينطوي على مغزى أو مدلول حقيقي ، ومن ثم كانوا يحذفون كل ما عدا ذلك ، وكان هذا طبيعيا لقوم كانت عبقريتهم ترى مواضع الجمال بدقة ووضوح وتعرف كيف تستغني عن المقدمات والحشو .

وهذا ينطبق ايضا على تراجيديا « اوديبوس ملكا » و « اوديبوس في كولون » فما يأخذه سوفوكليس من الاسطورة ، يأخذه بثقة ويضعه في موضعه .

لقد ضمنت تراجيديا « انتيجونا » بمهارة فنية فائقة، فنحن نبدأ بالشعور بأن انتيجونا ربما كانت مخلصة اكثر من اللازم للاموات ، ومتحاملة اكثر من اللازم على اختها التي تقل عنها شجاعة .

ولكن انتيجونا تكتسب الصورة الانسانية في اعيننا بالتدريج ،فتتخلى عنها ثقتها ، وتبدي اسبابا متعددة لتصرفها ، بعضها اخلاقي ، وبعضها ذاتي حميم في وقته ، وهي تكاد تنهار تماما في مواجهة الموت ، وتفكر في كل ما ستخلفه وراءها في الحياة ، فهي في النهاية امرأة ، وفي نفس الوقت الذي يتزايد فيه تعاطفنا مع انتيجونا يتناقص هذا التعاطف مع كريون .

فهو في البداية رجل دولة يحاول ان يعيد النظام الى مدينة ممزقة ، ولكن تحدي انتيجونا يثير في نفسه اسوأ النوازع ، فلا يعود يتصرف على أساس من المبدأ وانما بدافع من الكبرياء ، وينبذ ما يشير به ابنه عليه من اعتدال مهملا النذر الخطيرة التي يحملها اليه العراف تريسياس .

وعندما يلحق العقاب كريون نشعر بأنه يستحقه ، حيث يبدو أن هذا هو ما يريده سوفوكليس .

وعندما تتحدث انتيجونا الى كريون ترتل الجوقة نشيدا عن عظمة الانسان ودهائه ، وحين يناقش هما يمون اباه تنتقل الجوقة الى الثناء على الحب الذي لا يهزم في المعارك ، وتنتقل القضية ضد النظرة القانونية الضيقة من اطار الحاضر والخاص الى اطار الشمول والدوام .

وأين مفهوم القدر من هذا كله في هذه التراجيديا التي تتعرض الى الصراع بين القانون الطبيعي وقانون وضعي استنه حاكم متكبرفي لحظة غضب وكبرياء ؟ لقد وجه سوفوكليس اهتمامه الاول الى الانسان ، كانيرى شخصياته من الداخل ، ويسبغ عليها حياة حقيقية ، فاسمينا الفتاة المستكينة المتمردة تتغير عندما يقبض على انتيجونا وتود مشاركتها العقاب وانتيجونا الواثقة من نفسها ، تفزع من الموت ، وتكاد تنهار ، مثل غيرها من البشر على حد قول كريون ، فان اشجع الناس يخاف الموت ويهرع منه .

وهذا هو الصراع الحقيقي بين الشخصيات حدده سوفوكليس فيدقة ومقدرة عظيمة ، فما دور القدر هنا ؟

اننا هنا بدلا من الرجوع الى الاسطورة لتبيان دور القدر ، سوف نعود الى النص منقبين فيه ، كما كتبه سوفوكليس ، وكما ترجمه الدكتور طه حسين ، في الصفحات الاولى تتردد كلمات الآلهة على لسان « كريون » والجوقة وتشير الى تداخلها لنصرة كريون ، فالالهة انقذت المدينة من الغرق وديونوسوس مدهم جميعا بنشوة ... الخ .

ولكن عندما يعلن اختفاء الجثمان،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تقول الجوقة ، مولاي ! اني لاسأل نفسي حائرا اليس هذا الامر عمل الآلهة ؟

فيرد كريون قائلا : «دعوا هذا اللغو الذي يثير غضبي ، ولا يدل الا على تقدم سنكم وضعف عقولكم، ومن ذا الذي يستطيع ان يسمعكم ان الآلهة قد نزلوا الى العناية بهذا الميت .

وهكذا تتطور الاحداث في تراجيديا « انتيجونا » دون الاستناد الى نبوءة سابقة معلنة ، ودون صراع ضد هذه النبوءة،ولا نذكر نبوءة الا عن فهم تريسياس الذي يؤهله فنه لكشف الغيب واعلان ما هو مقدر للبشر ، فيعلن لـ « كريون » بأنه لن يرى الشمس تطلع مرات دون ان تؤدي بموت كائن هو ابوه لانه القى في بطن الارض كائنا كان يعيش على ظهرها.

فيخضع « كريون » فورا ويعلن انه قد غير رأيه ، ويذهب ليطلق الفتاة من سجنها ، ولكن الوقت يكون قد فات وتتوالى المصائب واحدة تلو الاخرى فيعلن : « انا اصل هذا الشقاء كله ولا يمكن ان تلقى تبعته على احد غيري » .

وتعلن الجوقة في ختام المسرحية : « ان الحكمة لاول ينابيع السعادة ، لا ينبغي أن تقصر في تقوى الآلهة ».

ان غرور المتكبرين يعلمهم الحكمة بما يجر عليكم من الشر ، ولكنهم لا يتعلمون الا بعد فوات الوقت وتقدم السن .

لقد ناضلت انتيجونا من اجل تطبيق القانون الالهي وواجهت كريون قائلة انها خالفت اوامره وقامت بدفن اخيها لان أمر كريون « لم يصدر عن زوس» ولا عن « العدل » مواطن الهة الموتى، ولا عن غيرها من الالهة الذين يشرعون للناس قوانينهم ، ومارأى ان أمورك قد بلغت من القوة بحيث تجعل القوانين منذ اليوم ولا منذ الامس ، هي خالدة ابدية ، وليس من يستطيع ان يعلم القوانين التي تصدر عن رجل احق بالطاعة والاذعان ، من القوانين التي تصدر عن الآلهة الخالدين ، تلك القوانين التي لم تكتب ، والتي ليس الى محوها من سبيل ، لم توجد هذه القوانين منذ اليوم ولا منذ الامس ، هي خالدة ابدية ، وليس من يستطيع ان يعلم متى وجدت .

لقد كنت اعلم اني ميتة ، ولئن كان موتي سابقا لاوانه فما أرى في ذلك الا خيرا ، ولكن اذا كانت هناك عدالة فيما توقعه الالهة بكريون من عقاب، فليست هناك اية عدالة في العقاب الذي تلقاه انتيجونا،ولكن سوفوكليس الفنان العظيم يعرف انه فنان قبل كل شيء ، فيترك الاجابات والاحكام الاخلاقية او الدينية لمستمعيه .

لقد بدأ سوفوكليس مسرحية « انتيجونا » مستفيدا مما تثيره الاسطورة المعروفة في وجدان المشاهد الاغريقي ، مستخدما رموزها ، وشخوصها ، لاثراء موضوعه الذي حدده بعناية شديدة في الصراع المتمثل بين انتيجونا وكريون .

ان الفكرة القائلة بأن القدر يحكم البشر وحتى الالهة كانت شائعة في الميثولوجيا الاغريقية ، ومعروفة ، ولكن سوفوركليس في « انتيجونا » لم يتناول هذه الفكرة بالمناقشة ، ولكنه خلق منها فنا عظيما .

اوديبوس ملكا

وهي مأساة بمعناها الحديث ، فاوديبوس بطل تراجيدي له نقائصه، أو على الاقل العيوب التي تصاحب صفاته العظيمة ، اذ يبدو ان مزاجه المتعجل وسرعته المسيطرة الى التصرف قد جعلتاه فريسة مختارة للمتاعب ، ولكن الكارثة الحقيقية التي تحيق به أمر لا يستحقه ولا سيطرة له عليه .

بل ان الحاقه العمى بنفسه ، على ما فيه من صدمة للمثل الاغريقية ،هو في الحقيقة تصرف أملته الرغبة في الهرب من العبء الذي لا يحتمل للوزر الذي يكاد يتجسد ملموسا .

واوديبوس بطل تراجيدي في جوهره ، لانه في كفاحه ضد قوى لا يمكنه التغلب عليها يكشف عن كل ما في صفاته من نبل ، ونقائص في آن واحد .

ان شخصية اوديبوس تقف رمزا لامال الانسانية ويأسها امام معضلة الحضارة ، اعني معضلة ماهية الانسان الحقيقية ومكانه اللائق به في الكون . ونجد هذه المعضلة الهامة قد أثيرت في مطلع المقدمة ، وذلك بالتمييز الدقيق الذي يقيمه الكاهن عندما يحدد موقفه من أوديبوس مخلص طيبة سابقا ، وحاكمها المطلق ، آخر أمل لها في النجاة من الطاعون ، اذ يقول له : « انا لا نرفعك الى مكانة الالهة لا أنا ولا هؤلاء ، ولكننا نراك احق الناس بأن نفزع اليك .. هلم يا احكم الناس اصلح أمر المدينة » .

ان اوديبوس هو طاغية Tyrannos طيبة ، بمعنى انه حاكمها المطلق ، والكلمة الاغريقية «طاغية» ليست بمعنى المستبد Tyrant فالكلمة الإغريقية تعني الحاكم المطلق الذي قد يكون حاكما سيئا أو حسنا ،ولكنه في كلنا الحالتين حاكم قد اغتصب السلطة ، ولم يرثها ، انه ليس ملكا ، لان الملك يتسلم الملك عن طريق الوراثة فقط ، أما الطاغية فيصل الى الحكم بالتفوق العقلي والقوة والنفوذ . ولقب طاغية هذا الملقب به اوديبوس ، هو من أروع سخريات المسرحية ، فاوديبوس — وان لم يكن يعلم — ليس طارئا تسلم السلطة في طيبة ، أو طاغية ، ولكنه الملك الشرعي بالوراثة . ولكنه لا يسمى ملكا بحق الا بعد أن تنكشف هويته وتدعوه الجوقة بهذا اللقب وللمرة الاولى في الانشودة الرابعة التي تغنيها بعد ان يعرف اوديبوس الحقيقة ، تقول الجوقة : « ... اي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اوديبوس ، دعوناك الملك الخير وقدمنا اليك اعظم الشرف فجعلناك صاحب الامر والنهي في المدينة القوية » .

ان النجاح الذي احرزه اوديبوس يجعله رمزا لائقا للانسان المتحضر الذي كان قد بدأ يؤمن في القرن الخامس قبل الميلاد بأنه قادر على ان يسيطر على بيئته ويصنع قدره وبهذا يصبح فعلا معادلا للالهة .

والجوقة تصفه ايضا بأنه « لقد رمى فأبعد ، لقد ظفر بالنعيم والجد» وقد أصبح اوديبوس طاغية باجابته على احجية ابي الهول ، وفي وقت سوفوكليس ، كان الانسان هو المقياس الذي تقاس به الاشياء ، او محور الكون ، وفي انتيجونا ، تنشد الجوقة : « لقد ملأ العالم بالمعجزات ولكن لا اشد اعجازا من الانسان ، هو الذي يستعين بالهواء العاصف على أن يطير بعد ان اتخذ للسفن اجنحة فيعبر البحر الملتطم وهو يبيض من وحوله . تعلم المنطق ، وعرف مذاهب الريح ، ادرك سلطان القوانين على المدن ، ووجد من الحيل ما يتقي به احداث الزمان » .

وهذا الوصف ينطبق على اوديبوس .

وعندما يواجه اوديبوس في المسرحية بمعضلة فكرية ، يأخذ في حلها تلك السبل التي مكنت الانسان من السيادة على العالم .

ان معضلة اوديبوس في هذه التراجيديا هي :

كيف ينقذ المدينة من الطاعون .

ثم يتحول السؤال الى من هو قاتل لايوس ؟

وعندما ينقضي الجواب يتخذ السؤال شكلا آخر وتصبح المعضلة معضلة اخرى هي ترى من انا ؟

والجواب على هذا السؤال يشرك الالهة والانسان على السواء في الموضوع ، فالجواب على هذا السؤال كان عكس ما توقع ، فبدلا من كونه احكم الرجال ، اصبح الملعون والتعس ، والمحق يصبح هو المجرم .

ومن الكلمات المحببة عند اوديبوس كلمة « مقياس » وهي بالطبع لها دلالة مجازية هامة ، فكلمات مقياس، وقياس ، وعدد ، وحساب ، هي من اهم المخترعات الهامة التي أوصلت الانسان الى السلطة . ثم ترى اوديبوس آخر ، اقترف اعظم المحارم، قاتل والده ، مرتكب الفحشاء مع أمه ، بدلا من المحرر ، الطاغية احكم الرجال .

وقبل أن يجد اوديبوس الاول اوديبوس الثاني ، فانهما متصلان ومتعادلان في الاسم الذي يحملانه ، ويعني « ذا القدم المتورمة » وبذلك يؤكد سوفوكليس وجود العيب الجسدي الذي يشوه جسد الطاغية العظيم ، فالمقطع الثاني من الاسم (بوس) الذي معناه « قدم » يتردد من أول المسرحية حتى آخرها،بقصد السخرية . ويقول برنارد نوكس في مقاله الذي نعتمد على ترجمته (كتاب روائع التراجيديا في ادب الغرب) ان كلمة قدم وردت في هذه الامثلة ، مثلا عندما تقول الجوقة :

« فليعد قاتل لايوس قدمه للتحرك هاربا » .

ويقول تريسياس « لعنة القدم المخيفة لابيك وأمك » .

ومن الواقع ان بيرنارد نوكس يهتم بهذه الملاحظة ، ولكننا عندما رجعنا الى ترجمة الدكتور طه حسين لـ « اوديبوس ملكا » وكذلك لترجمة الدكتور علي حافظ لمراجعة بعض من هذه الفقرات لم نجد ذكرا لكلمة قدم .

فمثلا في ترجمة الدكتور طه حسين لنشيد الجوقة ، من عسى أن يكون هذا الذي انبأت صخور ولف .. لقد آن له ان يندفع الى قرار عنيف سريع كأنه الخيل تشبه في عدوها الزوبعة العاصفة ..

وتقترب ترجمة الدكتور علي حافظ من هذه الترجمة كثيرا .

ولكننا عندما رجعنا الى الترجمة الفرنسية لمسرحيات سوفوكليس للناشر « Ernest Flammarion » وجدنا نص هذه الفقرة بالفرنسيةكما يلي :

Le Choeur : Quel est celui que l'antre prophétique de Delphes a dénoncé.... C'est à présent qu'il doit,d'un pied plus rapide que les plus légers coursiers...

ويتضح من الفقرة السابقة صحة ما يود برنارد نوكس الاشارة اليه وهو ان كلمة قدم تتكرر في المسرحية على سبيل السخرية (ولضيق الوقت لم نحصر كم مرة تكررت واكتفينا بهذه الفقرة) .

ويقول نوكس تأسيسا على ذلك ان هذا التكرار الساخر لنصف الاسم يستحضر في أذهاننا اوديبوس المجهول الذي سيتكشف لنا في المستقبل ، كما يرى نوكس ايضا ان كلمة « اودي » معناها وارم ولكنها تعني ايضا « أنا أعرف » وهذه الكلمة يرددها اوديبوس كثيرا . واسم البطل هنا يرمز الى المعادلة الاساسية وهي المعادلة التي سيحلها اوديبوس اخيرا .

وفي النص الفرنسي يقول له الكاهن :

" Soyez encore aujourd'hui ce que vous fûtes alors ..." .

وكما ترجمها الدكتور طه حسين « كن اليوم كماكنت أمس » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويرى نوكس ان هذه هي اول عبارة تحدد الموضوع ، وهو اديبوس المزدوج .

وهنا تكتشف المقارنة بين اوديبوس الحالي الذي يخفق في انقاذ مدينته من الطاعون وبين اوديبوس القديم الذي اجاب على احجية ابي الهول وعليه ان يجيب على الاحجية مرة اخرى وعندما يجده سيكون معادلا لا للغريب الذي انقذ المدينة واصبح الطاغية بل للملك المولود في المدينة الذي هو ابن لايوس وجوكاستا .

وطريقة اوديبوس المنظمة باحكام، ودابه ، هي الطريقة التي يعمل بها الفكر الانساني عند التصدي لمشكلة ما . ان جوكاستا تسخر امامه من مبدأ النبوة وتدلل على رأيها بما تعرفه من احداث سابقة ، ولكن اديبوس يظل مصرا على البحث ، وتكتشف الحقيقة عندما يفصح الراعي بما يعرف ، وتدرك جوكاستا الحقيقة ، وتقول « ايها الشقي .. وددت لو جهلت دائما من تكون » « بحق الآلهة الا ما تركت هذا البحث ان كنت معنيا بحياتك الخاصة » « واحسرتاه ايها الشقي .. هذا هو الاسم الذي استطيع ان اسميك به ، ولن استطيع ان ادعوك باسم آخر » .

ولكنَ اوديبوس يصيح في رئيس الجوقة « لينفجر ما يريد ان ينفجر ، ولكني حريص على ان اعرف اصلي مهما يكن وضيعا » ثم ينتهي الى قوله « واحسرتاه لقد استبان كل شيء، ايها الضوء لعلي أراك للمرة الاخيرة ، لقد كان محظورا علي ان اولد لمن ولدت له ، وان احيا مع من أحيا معه ، وقد قتلت من لم يكن لي أن اقتله » .

وتردد الجوقة « اي ابناء الهالكين ان وجودكم عندي ليعدل العدم لقد رمى فأبعد ، دعوناك الملك الخير ، وقدمنا لك اعظم الشرف ، فجعلناك صاحب الامر والنهي في هذه المدينة ، واليوم اي الناس يشقى بما هو أشد ايلاما من هذا ؟ كيف كتب عليك ان تكون ابنا وأبا وزوجا وأن يؤويك نفس المرفأ الذي آوى اباك وآوى والدتك ، كيف استطاع حرث ابيك ان يحتملك في صمت طول هذا الوقت ، لقد استكشفك على الرغم منك هذا الزمان الذي يرى كل شيء ، انه ليمقت زواجك هذا البغيض الذي جعل لك من امك اولادا، اي ابناء الهالكين ان وجودكم عندي ليعدل العدم ، انما تدفعون الى الوهم ثم لا تلبثون ان تردوا الى الشقاء .

وتثور الاسئلة :

— هل يستحق اوديبوس هذا العقاب ؟

— الى اي درجة هو مسؤول عما فعل ؟

— اليست الافعال التي يحاسب عليها هي قدره ؟

ويرى نوكس ، ان اوديبوس اقترف افعاله عن جهل ، وهذه الافعال لم تكن مقدرة بل متنبأ بها فقط ، وهذه التفرقة اساسية وهامة، وهي اساسية لان اوديبوس حر الارادة ، وأفعاله من صنعه ، ولكن الصورة التي تمت عليها افعاله هي تماما كما جاء في النبوءة .

وليست العلاقة بين النبوءة وأفعال اوديبوس هي علاقة السبب والنتيجة ولكنها العلاقة التي أوحى بها المجاز، اي علاقة كيانين مستقلين، ومع هذا فانهما متعادلان ، ولكن الانسان لا يستطيع ان ينظر الى اوديبوس دون ان يعطف عليه فهو صلب مفكر ، عنيد ، يسعى الى الحقيقة ، ويرفض الاذعان الى النبوءة واقتراف الاثم ، وهذا هو جوهر مأساة « اوديبوس ملكا » .

ونحن ان كنا نتفق مع الرأي القائل بأن « اوديبوس » مسؤول عما اقترفت يداه ، الا اننا نود أن نبين أن صراع « اوديبوس » كان مع قوى جبارة لا قبل له بها .

ينشد رئيس الجوقة ، بعد أن تعلن جوكاستا رأيها في النبوءة وتدلل على رأيها بأن لايوس مات بعد القضاء على ابنه ، وأنها لن تلتفت الى يمين أو شمال لتتلقى الفأل ، ينشد رئيس الجوقة ، لن أذهب الى قلب الارض المقدس لاعبد الآلهة ولا الى معبد آبيا ولا الى اولمبيا اذا لم يكن وحي الآلهة ملائما لما يقع من احداث بحيث تكون موضع العبرة والعظة للناس جميعا ، أي زوس الجبار .. لقد فقد الوحي الذي القي الى لايوس قيمته، انه يزدري ، ان الناس ليقصرون فيما ينبغي لأبولون من الاجلال ، ان حقوق الالهة لتهمل .

واذا كنا نعرف أن الجوقة في المسرح الاغريقي تمثل وجهة النظر والاعتقاد الطيبي في جملته ، كما تمثل النظارة الاثينية ، ولذلك فرغم ما يبديه رئيس الجوقة من احترام وتقدير الى اوديبوس ، فهو يرغب في القضاء عليه حتى تتحقق النبوءة ولا يفقد الوحي الذي القي الى لايوس قيمته.

ان سوفوكليس هذا الفنان العظيم الذي يتعرض للمشاكل الكونية الحضارية ، التي تخاطب الانسانية جمعاء ، لا يقدم لنا حلا لمشكلة القدر في هذه المسرحية ، ولكنه يكشف لنا عن هذا الصراع الرهيب داخل الرجال ومعاناتهم في احساس درامي عظيم ، وبناء محكم ، واهتمامه الاول هو الانسان ومعاناته .

انا نشفق على اوديبوس ونحس بالظلم الذي وقع عليه ، ونتعاطف معه ، ونرى ان سوفوكليس لم يرد أن يحور الاسطورة المعروفة لدى النظارة الاغريق مع الايمان بالقدر الذي يحكم الآلهة والبشر ، ولكنه قدم لنا بناء محكما وشخصية تراجيدية عظيمة ، مليئة بالكمال ، ولكن نقائصها قاتلة ، وفي هذا تتلخص عبقرية سوفوكليس، فطوال المسرحية لا يكل اوديبوس عن البحث عن القاتل او عن أصله ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويدفعه الى ذلك كماله وحبه للمدينة، ولكنه لايدري انه يحفر القبر لنفسه كلما تعمق في البحث .

ان الجبناء لا يفيدون الانسانية في شيء ، ولكن شجاعة اوديبوس واصراره ، وحبه للفضيلة ، والخوف من ارتكاب المعاصي ، هما اشرف ما في الانسان، واذا كانالتكبر يؤدي الى التهلكة ، والنقائص الخلقية التي لا سبيل للفرد الى الهروب منها ، فقد ولد وأعطي اسما شاذا ، ولا ذنب له فيه .

هل كان المطلوب من اوديبوس أن يغير اسمه ، ويغير قدمه ولا يعرج ؟

هل يستطيع الى ذلك سبيلا ؟

اليس قدره أن يسمى اوديبوس والتي تعني ذا القدم المتورمة ؟ اليس قدره أن يترك حيا ليعيش في بلد آخر، وعندما يهرب تقوده الاقدار او الصدفة الى موطنه ؟

ان هذه التراجيديا ، لهولة تفضح المفسرين ، حقيقة .

واننا نرى ان « س . باورا »صدق في قوله ، ان سوفوكليس لم يرد ان يقدم حلولا للمشكلات الكونية،ولكنه قدم لنا معاناة البشر في صراعهم .

وربما قراءة النص في لغته الاصلية وعلى ضوء دراسة المجتمع الاثيني في ذلك الحين ، وما يراه المشاهد الاغريقي فيه ، تفيدنا في معرفة ابعاد اخرى لهذا النص الثري بالصراع فيما بعد .

اوديبوس في كولون

في هذه المسرحية يأتي اوديبوس العجوز الاعمى الى اثينا عالما انها مقره الاخير ، وأن وجود جسده مدفونا بها سوف يحمي أثينا ويعينها الى الابد .

ورغم صحبة بناته الوفيات له ، والاستقبال الكريم الذي يستقبله به ثيسيوس فان الصعوبات تنشأ مرة اخرى ، حتى في طريق آخر اعماله الدنيوية .

ويتعلق الجزء الاول من المسرحية بالعقبات التي يجدها اوديبوس من جانب مواطنيه الذين يفزعون منه ، ومن جانب كريون الذي يحاول ، بالخديعة أو بالعنف ، ان يضمن لطيبة الحماية عند دفنه بها .

ولكن هذه المشاهد العتيقة كلها تتضاءل أمام النهاية الخارقة التي يجد فيها اوديبوس نفسه مستغنيا عن كل مساعدة .

يسمع صوتا يناديه من السماء، فيسير داخلا باطن الارض بثقة تامة، حيث لايراه احد .

ويرى«س.باورا»،ان سوفوكليس اظهر في هذه المسرحية بما لا يدع مجالا للشك ان اوديبوس لايمكن ان يلام بأي حال من الاحوال عما فعله ، وان طرده من طيبة كان عملا من اعمال القسوة وأن نهايته تعويض او تكفير عما عاناه وربما رأى سوفوكليس ايضا في هذه النهاية ، السؤال الذي شغله طويلا ، فمن خلال المعاناة بل من خلال الظلم الذي يحيق به يصبح الرجل العظيم الها .

والمشاهد الغاضبة التي يقرع فيها اوديبوس كريون او يلعن ابنه ، هذه المشاهد تبعث في النفس الولاء والاحساس بالزمالة التي كان سوفوكليس يقدرها اعظم تقدير ، واوديبوس يكافيء من يساعدونه، ولكنه لا يملك الصفح لاولئك الذين اساءوا اليه ، وعندما تغني الجوقة في كلمات لا نظير لبلاغتها عن تعاسة الهرم وانعدامجدوى الحياة ، اوعندما يخبر اوديبوس تيسيوس بأنه الوفاء يموت ، والغدر يتفتح كالزهرة ، فان سوفوكليس الذي اشتهر بأنه الهدوء الاتيكي مجسدا ، يلقي جانبا اقنعة التحفظ ويكشف عن فهمه لبطلان الحياة وزيفها ، ويرى في ساعات اوديبوس الاخيرة مثلا من امثلة الوفاء التي توثق الصلة بين الرجال في احلك ساعاتهم والتي تعتبر هبة من الآلهة لا تقدر بثمن .

فسوفوكليس الفنان الذي يرى أن الصراع الذييتجاوز طاقة المفكر يمكن أن يحل عن طريق القلب .

وفي هذه المسرحية يكافأ اوديبوس بالموت ويصبح شيئا فوق طاقة البشر ونرى انتقال اوديبوس من انسان الى اله .

اننا لم نر الآلهة ولكننا نعرف من المسرحية الاولى ماهيتها فالآلهة تلك المعرفة التامة دون نقصان ، هذه المعرفة التي ظن اوديبوس انه يمتلكها ولكنه اخطأ ، ولكن في المسرحية الثانية يصبح مساويا للآلهة ويكتسب صفات الالوهية ويكون له سلطان على المستقبل ، ويقول لكريون هذه المرة : الم يعلمك الزمن الحكمة ؟

ويعجز كريون عن ادراك ما يدور حوله ، فينصح اوديبوس قائلا : « انك تضر بنفسك الان كما اضررتبها من قبل ، باطلاقك العنان لذاك الغضب الذي كان دوما سببا لهزيمتك » .

وتقول له انتيجونا: « هل ستذهب الى طيبة ، وتحقق ما تنبأ به ؟ »

ان اوديبوس الذي حارب من اجل بطلان نبوءة ، قد اصبح هو نفسه يتنبأ ، ويقول ابنه ساخرا : « فليتنبأ كما يحلو له ، انه ليس من واجبي ان احقق له نبوءة » .

وفي آخر كلمات تقول الالهة :

« انت يا اوديبوس ، انت : لماذا تتلكأ في الذهاب؟ لقد طال بك المقام ».

ان هذا الرجل الذي حارب ليهرب من نبوءة ، ترضى عنه الالهة ، وترفعه اليها في آخر ايام حياته .

هل هذه سخرية من القدر ؟! أم هل هذه سخرية القدر ؟ !

اليست هذه الاعمال العظيمة هي مرآة أثينا ، وكانت اثينا ترى فيها نفسها كما نرى نحن انفسنا فيها ؟

وهذه هي اهم صفات الادب الهليني .

ويظل السؤال معلقا : وتظل أوديبوس هولة تفضح المفسرين ؟!

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com



لقاء مع
الدكتور الشاعر

كمال نشأت

الابداع .. والانقطاع الشعري .. واسطورة شيطان الشعر
قصيدة واحدة متكاملة .. كفيلة بتخليد شاعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أجرى اللقاء
خالد الحلي



الدكتور كمال نشات شاعر وناقد عربي معروف . أصدر ١٠ كتب من بينها الدواوين الاتية : « رياح وشموع — ١٩٥١ » و « انشودة الطريق — ١٩٦١ » و « ماذا يقول الربيع — ١٩٦٥ » و « كلمات مهاجرة — ١٩٦٩ » . أما كتب الابحاث فهي : « شعر المهجر — ١٩٦٦ » و « ابو شادي وحركة التجديد في الشعر العربي الحديث — ١٩٦٧ » و « مصطفى صادق الرافعي — ١٩٦٧ » و « في النقد الادبي ١٩٧٠ » وله رواية مترجمة بعنوان « الجحيم الحي — ١٩٦٨ » ومسرحية مترجمة تحت الطبع بعنوان « ابتعد ايها الرجل العجوز » وهو يعد للطبع الان مقالات نقدية لتطبع في كتاب ، وكتابا بعنوان « المسرحية الشعرية في الادب المصري الحديث » .

احلى سنوات العمر

عندما التقيت بالدكتور نشأت مؤخرا ، وجدته يخبرني انه بعد خمس سنوات من الانقطاع الشعري انجز كتابة ٢٤ قصيدة .

كان هذا هو مدخل الحوار : كيف يفسر ذلك .. ؟

يقول الشاعر :

— انتهت — كما تعلم — اسطورة الالهام القديمة. ولم يعد للشاعر الحديث شيطان يوحي اليه كما كان الاجداد يعتقدون . وذلك لان علم النفس قد كشف هذه القضية وبين كيف تتم عملية كتابة القصيدة وكيف تتكون داخل نفس الشاعر . فان ما تلتقطه حواس الشاعر من مناظر ورؤى ومشاهد واحداث وافكار وتجارب يظل حبيسا داخل النفس . وهو المادة الخام التي تصاغ منها

القصيدة ، وعبر قانون تداعي المعاني يكون خروج هذه المادة واستخدامها في القصيدة . ولما كان الشاعر يتعامل مع هذه المادة الخام كان في حاجة الى معايشة نفسه والى تمثل تجاربه .. انه في حاجة الى « التمثل التأملي » ان صح التعبير لما حوله وما بنفسه . ومقدرة الشاعر هنا ليست القدرة على استرجاعها واسترجاع هذه الحصيلة الخام التي تتشابك لترفد القصيدة بكل غنى هذا الاحتشاد ، ولذلك كان على الشاعرية ان تستجم وان تهدأ فترات لتمتليء .. لتعود مرة اخرى الى عملية الخلق . صحيح ان مدة خمس سنوات طويلة ، وربما ساعد على طولها اشتغالي بالتدريس ، وهو يستنزف طاقة كبيرة من الانسان . ولكن من الذي يحدد لنفسه فترات الاستجمام هذه وفترات الخلق ؟ ان النفس الانسانية شديدة التعقيد . وعملية « الخلق الشعري » اكثر تعقيدا . وقد تناولها الباحثون والادباء، وبخاصة علماء النفس بكثير من الابحاث . ولكن الذي يجب ان نؤكد عليه هو ان الشعر ليس كلاما انشائيا والفاظا حلوة منغمة .. ولكنه اعماق انسانية .. والشاعر الذي يظل يكتب ويكتب دون فترات اختزان وتأمل ومعايشة للنفس ، سيكون بئرا فارغة من الماء في ليلة ما .

فالانقطاع عن كتابة الشعر ليس انقطاعا بالمعنى الشائع ، وانما هو فترات تكمن فيها الشاعرية لتختزن رصيدا من التأمل والتجارب ومعايشة الذات . انها اشبه ببحيرة من البحيرات الصغيرة الموجودة تحت سطح الارض تلك التي تتجمع فيها المياه الجوفية لتصفو وتروق . وفجأة تنبثق في لحظة على شكل نبع من الينابيع خارج سطح الارض .

الشعر والشاعر

● من خلال هذا كيف يفهم الشاعر الشعر .. ومن هو الشاعر الحقيقي في نظره .. ؟

ـ لعل في اجابتي السابقة بذور اجابة هذا السؤال . فالشاعر الموهوب يلتقط بحواسه كثيرا من المشاهد والرؤى والاحداث والافكار والتصورات ، وهي كلها انعكاس من الواقع الخارجي على وجدانه . ان عملية الخلق الشعري عملية معقدة يختلف فيها الشعراء قدرة وموهبة . والشاعر الذي يستطيع ان يقيم توازنا بين هذه المادة الخام والتعبير اللفظي بحيث يجمع شروط النجاح الفني هو الشاعر الاصيل . فاذا اضاف الى ذلك رؤية شعرية صحية ، كان الشاعر الموهوب المطلوب الذي يرى فيه الناس هموم حياتهم وتطلعاتهم وعواطفهم واحلامهم . فاذا تحققت هذه الشروط في الشاعر كان شعره هو الشعر الناجح .

مراحل وتجمعات

● ارتبط اسمكم بعدة مراحل ادبية .. هل تحدثنا عن علاقتك ببعض التجمعات الادبية التي انتظمت بما يشبه المجموعة او الرابطة .. ؟

ـ ابتدأت النشر في الخمسينات سواء في المجلات الادبية او في دواوين . فديواني الاول هو « رياح وشموع » الصادر عام ١٩٥١ ، وهو يجمع ٢٥ قصيدة اقتطعت منها ١٧ قصيدة ونشرت خطأ في ديوان ابراهيم ناجي الذي طبعته وزارة الثقافة المصرية كما هو معروف ومنذ ذلك الوقت ، والصداقة قد ربطت بيني وبين محمد الفيتوري وفوزي العنتيل ، وكنا نتلاقى يوميا في مقهى « ايزافتش » بميدان التحرير بالقاهرة ، ونشارك في الندوات الشعرية وبخاصة ندوة جمعية الشبان المسيحيين ، وننشر في المجلات باسم « رابطة النهر الخالد » . والمتتبع لمجلة « الاداب » البيروتية في الخمسينات يرى اسماءنا وتحتها اسم هذه الرابطة التي لم يكن لها مكان ولا قانون ولا اعضاء ، فقد كنا المسؤولين والاعضاء وكل شيء . وكنت ارد على الرسائل واتلقى الكتب التي ترسل الينا كهدايا باسم الرابطة وبخاصة من اخواننا العراقيين الذين كانوا يظنون كما ظن جميع اصدقائنا في الاقطار العربية الاخرى ، اننا جمعية لها اعضاؤها ومكانها وقانونها . وما كنا في الحقيقة الا ثلاثة تجمعنا الصداقة والشعر والاتفاق على مفهوم شعري معين . وقد اشترك معنا بعض الاصدقاء منهم عبد العزيز خاطر والبلاسي وشقيقي القصاص بدر نشأت . وفي هذه الفترة كنا نحرر مجلة « العالم العربي » حتى تركناها ليتولى تحريرها « اعضاء الجمعية الادبية المصرية » وهم : صلاح عبد الصبور واحمد كمال زكي وفاروق خورشيد وعز الدين اسماعيل . وكان هؤلاء يجتمعون في نادي المعلمين .. لهم مكان وقانون واعضاء مشتركون في جمعيتهم . والطريف ان رفع شعار جمعية ما تحت اسم الشاعر حينما ينشر قصيدة اصبح بعدنا « مودة » فاذا راجعت « الاداب » في الخمسينات ، ستجد « رابطة الحزن العظيم » و « رابطة الالم المشترك » واصبح لكل شاعر رابطة ليس بها الا هو !!

على ان تجمعا اخر شدنا اليه في اوائل حياتنا الشعرية هو الندوة الشعرية ، التى كانت تقام كل شهر في جمعية الشبان المسيحيين وكان يقدمها المرحوم الشاعر خالد الجرنوسي ، فقد شاركت انا والفيتوري وفوزي العنتيل فيها سنوات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الطلبة وقضايا
الادب والتراث

● **انت كاستاذ جامعي .. كيف ترى الطريقة الصحيحة لان يتفهم الطالب بشكل واقعي وعلمي قضايا الادب والتراث .. ؟**

ـ الحق الذي يجب ان يقال ان كثرة من الطلبة سواء في مصر او العراق لا يزودون انفسهم بالثقافة الواجبة للطالب الجامعي حتى طلبة قسم اللغة العربية ، فاغلبهم يقنع بما يلقى من المحاضرات . وهم بحاجة الى نوافذ تفتح امامهم مجال الاطلاع الشخصي . والمفروض ان استاذ الجامعة يفتح الطريق امام الطالب ويدله على المراجع ، وعلى الطالب ان يكمل الشوط . ولكن الطلبة قد تعودوا ان يعتمدوا على الاستاذ اكثر مما يجب . وهنا يكمن الخطأ . ونحن نحاول ان ندفعهم بعيدا عن هذا الطريق . اما الطلبة الادباء فأنا احتضنهم واقرأ انتاجهم واناقشهم فيما كتبوا . وفي بعض الاحيان انوه بهم في بعض مقالاتي ودراساتي تشجيعا لهم ، فان فيهم شعراء اصلاء .

الشعر والمستقبل

● **ما هو مستقبل الشعر في رأيك . وما هو تصوركم لتقييم الشعر الذي يكتب حاليا بعد قرون ؟**

ـ لا احد يستطيع ان يتخيل الحالة التي سيكون الشعر عليها في المستقبل . فلا احد من جيل شوقي مثلا ، كان يتخيل ان الشعر سيخرج على العمود ، وان القصائد ستكتب على تفعيلة لا يحكمها عدد مقنن محدد .. ولا احد يستطيع ان يتخيل ان شاعرا عربيا معاصرا يقول مثل هذا الكلام : ـ

وطني يقلدني نهاره
يا خيبة الزمن المكلس في طريقي
لا تنبحي عصبي مصير دمي حجارة
وأنا اغاوي فيزياء الطين تنهرني العبارة
يهتز عبر دمي تنطف عروقي (كذا)
وتغيب في الجدران تهدمها ، تفك اسار موتي ،
الظل ، تمنحها حضور الريح ، وهج النار .. عز
الفتح .. أزهار التشفي
يا طحلب الظل المكتوم في المضيق
رمد وراء النبض قافلة الضنى ساحت
(الخ ..)

= فايز خضور ـ مجلة الاداب ـ العدد الرابع ـ نيسان ١٩٧٠ . =

فلو سمع شوقي هذه الابيات او لو سمعها واحد من جيله لاغمي عليه ! اما نحن ففي حالة اغماء كاملة !

ولا شك ان هناك شعرا مرفوضا نفر منه الناس، وما اظن ان شاعرا مثل صاحبنا الذي ذكرنا ابياتا له يطمع في ان يذكره التاريخ ، فأمثال هذه الاشياء التي تحاول ان تتخذ شكل الشعر وليست منه في شيء سيجرفها تيار الزمن وكم من شعراء قد سقطوا من غربال الزمن القاسي !

ولو راجعت الشعر الخالد ، لا شعرنا العربي وحده ولكن الشعر العالمي ، لوجدت ان القصائد الخالدة هي التي تناولت هما بشريا ما ، وعبرت عنه في اسلوب فني متكامل ، بحيث اصبحت تحفة في بابها الذين ضحل شعرهم الا قصيدة واحدة ابقت اسم صاحبها خالدا عبر الزمن .

ان قصيدة واحدة متكاملة كفيلة بتخليد شاعر والشواهد على ذلك كثيرة في ادبنا والاداب العالمية . وانني لاذكر هنا هذه القصيدة البسيطة العظيمة في نفس الوقت ، التي ذكرها ارشيبالد مكليش في كتابه « الشعر والتجربة » الذي ترجمته سلمى الحضراء الجيوسي ، وهي لاحد اباطرة الصين الذين ماتوا منذ اكثر من الفي سنة ، والتي ترجمت من الصينية الى الانكليزية ، ومن الانكليزية الى العربية . وعلى الرغم من فقدها ايقاعها الموسيقى بلغتها القومية ، وهو يشكل نصف جمال اية قصيدة ما زالت ابياتها التي تعد على الاصابع تسكن قلوبنا لصدقها وبساطتها . فالشاعر قد تحدث عن البيت الخالي من الحبيبة دون حذلقة ودون افتعال ودون عقلانية استعراضية .. فكان ان عاشت القصيدة وعاش اسم صاحبها اكثر من الفي سنة وعبر ثلاث لغات ! : ـ

لقد توقف حفيف ثوبها الحريري
ونما الغبار على الممر المرمري
غرفتها الفارغة باردة هادئة
والاوراق المتساقطة تراكمت على الابواب
آه .. كيف استطيع ان اهديء قلبي الموجع
وأنا احن الى تلك السيدة الجميلة

ولكن الذي يجب ان يقال هنا ، هو ان الشعر في العالم كله قد اصبح الان من فنون الدرجة الخامسة . فقد قل الاهتمام بالشعر والشعراء ، واتجه اهتمام الناس الى المسرح . وقد قرأت قبل فترة قصيرة ان الشاعر الايطالي الناجح لا يطبع اكثر من الفي نسخة ، وان الناشرين في ايطاليا يرفضون نشر دواوين الشعر! والايطاليون أهل فن وحضارة منذ زمن قديم ..

خالد الحلي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



تهاليل الورد والطرة

شعر : عبدالله الشحام

يا اخا البدر سناء وسنا رحـــم الله زمانا اطلعك

وجـــه

العرنـــين النافر والظل . أســـواق البورصـــة .
العمـــال . الوطـــن الملفـــوف بـــأوراق التبغ .
تســـع بنـــات يسبحـــن : في العطـــر الافرنجي ،
Sexy Musk Oil يتأملن :
حاملة الطائرات
وجهي وجعي
وحذائي المطاط
ورصاصـــة .. !
وأنا في الحائط ساعة !

رعشة

تلتحـــم السحـــب الحمـــراء بمـــاء البحـــر .
يلتحـــم الجســـدان الاســـود والابيـــض .
يسقـــط مطـــر ناعـــم . وأنـــا والظـــل
صيـــف وشتـــاء . فـــي حفل الموت . نمشي اثنين
اثنين . ونمـــوت اثنـــين اثنين . تحت الشجـــرة .

تسبيحة

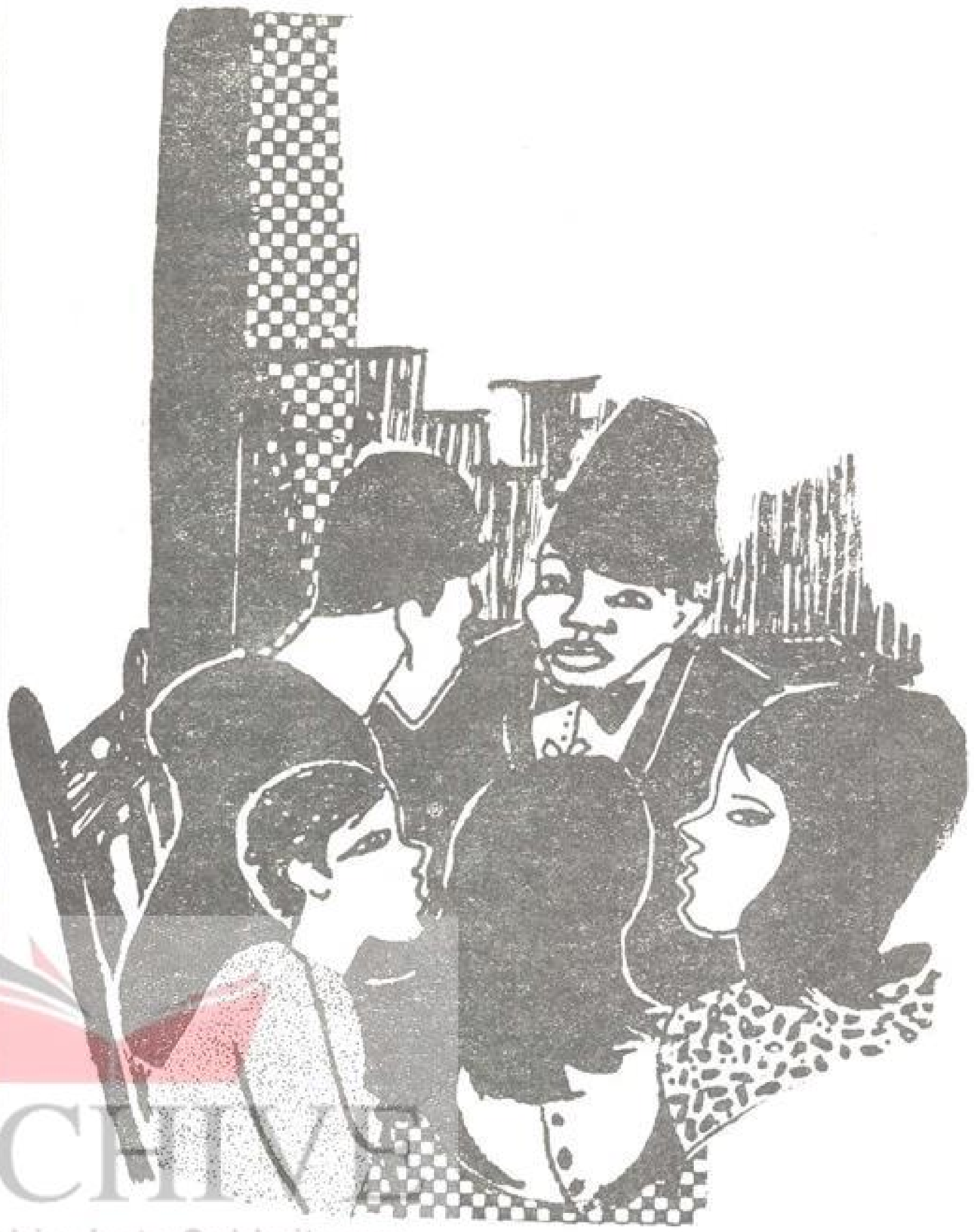
يا ريـــح الشرق الصرصر عودينـــي
كل مساء . شـــردت ((عيشـــه)) من نـــار
الزنـــج . وتلفعـــت بجلدي لاعيد المشهد .
الشيخـــة تضحـــك منـــي . والاطفال يغنـــون
سلامـــا لله

أغنيـــة

أقـــرأ أفعـــال الترجيـــح . فأرجـــح أن
يأتـــي مـــن قلـــب ((مهـــا)) شيـــخ عربـــي
ليطـــرز جســـدي بالنخـــل . وطيور البحـــر .
وحـــداء الفلاحـــين .
الساعد يشتد ويشتد
للوقت ويقوم الجسد المفتول
ويفرخ في الارض ويمتد
في المشرق والمغرب
يا غياث أغثنا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حكاية حنفية



قصة قصيرة

بقلم : محمد فهمي سند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● كان يتلوى فوق المقعد منقلا قطعة من « اللبان » بين شدقيه ومحركا حول اصبعه ميدالية منقوش على أحد وجهيها وجه نفرتيتي والوجه الاخر لم أتبينه جيدا لسرعة تحرك الميدالية حول اصبعه ثم انكفأ على المنضدة وراح يقرأ قصيدة قدمها بحكاية طويلة لم يعلق بذهني منها سوى بعض كلمات بسيطة نسيتها الان ، وكانت صلعته المغبرة كظهر قرد عجوز ترسم خطوطا منبعجة ومتعرجة وصوت حذائه المتهريء الذي ينقر به على الارض موسيقى تصويرية لشعره الذي يلقيه ولم أفهم شيئا لغبائي الشديد في مثل هذه الامور ، ولان صوته الاخنف كان يلقي ظلالا غريبة على الجمل فتتآكل في انفه وتتساقط الكلمات حول أذني فأجمعها مبهورا بالوانها المتنوعة ، ويسكت سمير متأففا ، ويلوي مصطفى رأسه ناحية الباب ويظل يتطلع الى الحربتين الواقفتين على الباب ، وانحدر الى ذاتي أتأمل وجه « صفية » المتفجر بالشبق والانوثة وترن في اعماقي قهقهاتها وتأوهاتها وتجرع الكأس مرة واحدة قائلة :

— الشخصية التي رسمتها في قصتك الاخيرة وجعلتها تنتحر وهي عارية في ميدان التحرير رسمت ببراعة . !!

(كانت أشد وقاحة حين قالت : الا تخجل من نفسك ؟ قطبت السيدة ذات الذقن المزدوجة جبينها وقالت بتأفف « نفعي » ثم القت علي نظرة اشمئزاز واضحة وهمست في اذن صديقتها : بدلا من أن يكون هناك في الجيش فانه يتسكع هنا على المقاهي ، نظرت اليها بحدة فراحت تشرح ، وفي أثناء شرحها اختلط عليها الامر وأخذت تعتذر بأنها لم تقصد اهانتي !!)

● صحوت على جملة فذة لو سمعها احد القواد العسكريين لحرر بها الوطن فجأة :

طيبة تدعو ربها ،
والرب في اجازة الميلاد يشرب النبيذ تحت تمثال كبير الالهة ،
ينظم حول كأسه خطبة عيد النصر والجلاء ،
ينثر الوعود التافهة .

ما زلت حتى الان مزهوا بذاكرتي التسجيلية لانها وعت هذه الاشياء ومسح شدقيه ، وسكنت الميدالية حتى تبينت الاهرامات وأبا الهول وجملا قد رفع الرجل اليمنى الامامية والرجل اليسرى الخلفية والشمس وراء الوجه الاخر ،

وحملق في اعيننا نحن الثلاثة :
ـــ ما رايكم ؟؟
هز سمير راسه منكسا وجهه في الطاولة :
ـــ لا باس بها .. !!
وتحرك مصطفى حركة قلقة ، وخرجت دفعة فجائية من فمه هادرة:
ـــ ماذا تريدون بكل ذلك ؟؟ الملك الضليل ، المتنبي ، خمارويه ،عمان، جنوب لبنان ، المقاومة ، بيروت ، حزيران ، السبي الاخير ، حرب الغفران ، سيف الدولة ، بيزنطه ، اشياء ليس لها مدلول عصري ولا فني ، ماذا تريد أن تقول ؟ ؟

النمل الابيض يحمل جيشا مهزوما
يقرأ نشرة اخبار الايام الحبلى بالبهتان
تتمزق ضحكات الارنب بين الفخذين العاجيين
يتمطى سيف الدولة في بيزنطه
فيواري الملك الضليل عنيزة في أثواب بيروتية
ويهب المتنبي مذعورا من خبز الشمس
يركب صاروخا ، يخطف سيف الخيبة من رمسيس الثاني
ويظل يموء ، يموء ، يموء .. !!

لم تزد ابتسامته القردية وجهه الا تكورا وراح يتحدث عن الوطن والاعتقالات والحرية والحرب بانفعال وثورة جعلته يمسح انفه كثيرا وخرجت من جيب سترته (الديولين) المشجرة علبة سجائر « كنت » واشعل لفافة :
ـــ هذه قصيدة رمزية نضالية من اجل الحرية .
ـــ هل نشرتها ؟ !
ـــ نعم ، في بيروت .. !!
ـــ بالبريد ؟!
ـــ لا .. أخذها المراسل الخاص للمجلة واعطاني المكافأة .
ـــ لا شك انه مؤمن بك كشاعر..!
ـــ ثلاثون جنيها مصريا ، هل تحب ان تنشر احدى قصصك هناك ؟
ـــ هل يمكن ذلك ؟!
ـــ ان المجلة تعطي بسخاء كل الثوريين والنضاليين والمؤمنين بالتقدم .
ـــ لي قصة رائعة كتبتها بالامس بعد وجبة شهية وزجاجة من الويسكي المهرب ، وامراة رائعة كانت تصب لي الكؤوس ، كتبتها في الفجر على انغام رقصاتها الثائرة .!
جلست بجوارنا « صفية » فجاة بوجهها الانوثي الرائع وبحقيبتها المدلاة الداكنة ، واتكأت على الطاولة بمرفقيها فتدلى شعرها الذهبي على جانبي وجهها ، وفاح عطرها في المكان ، وشدت اذني بدلال :
ـــ سيجارة .. ؟!
اعطيتها واحدة « كيلوباترة » فهزتها بين أصابعها برهة ولمحت علبة « الكنت » في جيب سترة الشاعر فدستيدها في جيبه واخرجت لفافة لنفسها واعطتني واحدة قائلة :
ـــ النظافة من الايمان .. !!
ـــ لم اعد أملك سواها
ـــ اوه .. وعند من سنسهر الليلة اذن ؟!
سكت .. وراح مصطفى يعبث بعود كبريت احترق نصفه ، وسمير يقلب باستهتار في مجلة اجنبية ، واسرعت حركة الميدالية في يد الشاعر حتى اصبح وجه نفرتيتي في المثلث الاوسط للهرم ووجه ابو الهول تحت اقدام الجمل ، وتداخلت رقبة نفرتيتي في رقبة الجمل ، ولعق الشاعر شفته السفلى ، ومسح على جبهته وقال بابتسامة كلبية مخنثة :
ـــ لو تواضعتم .. ؟ عندي .. ؟!
سكت .. وقذف مصطفى عود الكبريت خلف الشاعر ، واغلق سمير المجلة واشعل لفافة ،وقهقهت « صفية » .
ـــ الك بيت ؟!
ـــ بيت أحد اصدقائي الذي سافر منذ اسبوع الى بيروت .. !!
ـــ هل هي شقة أم حجرة على السطوح ؟ !
ـــ فيلا.. بها ثلاث حجرات للنوم، وصالة رقص ، وباركبير وثلاجة ضخمة « وستنجهاوس » بها ما تريدون ..
ـــ اتفقنا .. !!
قالها أحدنا ولم نعرفه .. !
ـــ المجد للشعر هذه الليلة .. !!
قالتها « صفية » وهي تقهقه .
ـــ والقصة ؟!
وضعت رجلي اليسرى على اليمنى وحككت ذقني الناعمة بسبابتي وحركت بيدي الاخرى منفضة السجائر ..
ـــ خلعت رداء المجد هذه الليلة ..
ردت « صفية » على سؤالي باستهتار غريب .
تلوى الشاعر فوق مقعده عدة مرات واتجه الى « صفية » وبرقت عيناه وصوته الاخنف راح يستلقى في آذاننا .
ـــ هذا الشعر رائع ... اليس كذلك ؟!
ـــ هيا بنا ..
سكنت الميدالية في اصبعه واعتدلت « صفية » وهب سمير واقفا وظل مصطفى كما هو فلكزته بذراعي ، فلوى راسه ناحيتي في بطء وعاد ثانية الى عود كبريت محترق الى منتصفه ثم خرجت كلمة « صفية » من بين شفتيه او أسنانه دون ان ينظر اليها فتطلعت اليه دون ان ترد .. فقال :
ـــ هل تحبين السهر ؟!
ـــ وهل نستطيع النوم ؟!
ـــ في اي وقت من الليل تأرقين ؟!
ـــ طوال الليل
ـــ ومتى تنامين ؟!
ـــ حين تطلع الشمس .. !!
ـــ انت ضد وضع الاشياء الصحيح .. !!
ـــ ولماذا أنتم مع الوضع الصحيح للاشياء ؟!
ـــ هل خلقنا لنخالف قوانين الطبيعة ؟!
ـــ وهل خلقت لتعمل مثل غيرك قوادا لاصحاب النفوذ ؟!
ـــ وكيف تعيشين ؟!

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ـ هـل وقمـت على المنشور الاخير ؟!

جلس سمير فجأة وهمس

ـ بعضهم هنا .. هيا بنا

تدحرجت الكلمات من انف الشاعر

ـ وصل المنشور الاول الى بعض الاصدقاء في الجانب الآخر ، والضجة الان تنضج الاطعمة .

ـ اعتقلوا الصحفي الكبير «س» لوقوفه بجانب المتظاهرين وعذبوه ، وهو الان في النزع الاخير ، هيا نكتب عريضة اخرى ونجمع التوقيعات ونرسلها الى الاصدقاء هناك .

قلت بقرف :

ـ هذه رابع عريضة ، هل تجدي التوقيعات ؟!

صرخت « صفية » في انوثة :

ـ والوطن ؟

رد مصطفى :

ـ الوطن ؟ اين الوطن ؟!

برزت اشياء غريبة في ذهني ، وجوه مضت عليها ست سنوات ضاحكة مليئة بالحياة ، فخجلت من وجوههم ..

(اركضي ايتها الوجوه في ذاكرتي ، وانشبى اظافرك النظيفة في مخي ، نعم ، كانوا هنا ، انهم هنا ، ما زالوا يضحكون وستراتهم ملوثة بالدم والرمال والعرق ..!! والمرأة ذات الذقن المزدوجة تسخر مني قائلة : انهم يتسكعون هنا على المقاهي بدل ان يكونوا على الجبهة .. !!)

ـ اننا نناضل من أجله ..

ضحكت « صفية » ضحكة كبيرة تسلقت احدى الحربتين الواقفتين على باب الحجرة .

ـ سيجارة « كنت » يا شاعر .

رمقنا « عم دهب » الخادم بوجهه الاسمر النحاسي العريض وحوقل في هدوء ثم صنع من كفه كأسا لذقنه وقال بصوته المليء :

ـ تب علينا يا رب .. كله بأمرك .. !!

حدجه الشاعربنظرة ذبابيةواشعل لفافة ، وراحت الميدالية تتحرك بين



اصابعه وصوت حذائه الذي ينقر به على الارض يأتي الى اذني كدقات قلب مضطرب .

(يعدون في الهواء ويضحكون ، ويحملون في ايديهم اشياء لا اتبينها ، وصوت المياه يتردد في ذهني كصوت حركة المجاذيف الثائرة .. انتصب ايها الحلم ، تشكل ايها الجنين ، والمرأة ذات الذقن المزدوجة تضحك ملء قلبها .. !!)

جذبت « صفية » كم سترتي ، وغمزت بطرف عينها :

ـ قصة جديدة ؟!

ـ ربما

ـ هيا بنا .. فقد تكتمل هذه الليلة ..!!

● اخرج الشاعر ورقة طويلة ، مكتوبة على الالة الكاتبة واخرج قلما ووقعت « صفية » وسمير وتردد مصطفى بعض الشيء ثم وقع ، وتأملت في الورقة المكتوبة بها اسم الصحفي الكبير (س) وكلمات مثل الاعتقالات المظاهرات ـ الحرية ـ الحرب ـ الوطن ، كلمات كثيرة من هذا النوع وتحتها مجموعة من التوقيعات ،وقعت بجوار توقيع « صفية » ونظرت اليها مرات والى شعرها المتدلي على جانبي وجه بلونه الذهبي الجميل ورائحته الرائعة فأشعل مصطفى عودا من الثقاب وراح يتأمل شعلة اللهب بعينين هادئتين وهو متكيء على ذراعه فوق الطاولة وهو يتمتم : الوطن ـ الحرب ـ الحرية .

تفل « عم دهب » تحت قدميه وسعل وهو يقول :

ـ تب علينا يا رب :

فوقفنا جميعا مرة واحدة ، واتكأت « صفية » على كتف الشاعر وهو يحرك الميدالية حول اصبعه ويغني اغنية غيرواضحة ، وفي الممر واجهتنا المرآة الكبيرة ، فنظرت فيها الى هيكلي برهة ، وربتت يده على كتفي ..!!

ووضع عشرة جنيهات في جيب سترتي ومر دون كلمة واحدة !!

فلعقت شفتي السفلى ، واسرعت للخارج لالحقبصفية والشلة وسقطت عينا كل منا على الاخر ، ثم سرنا في الشارع المظلم بعد ان وضع كل واحد منا يده في جيب سترته وهو يعبث بالورقة ذات العشرة جنيهات التي تركها (س) في هدوء ودون كلمة .. ولم ينطق احدنا بكلمة غير « صفية » التي راحت تغني في ميوعة : يا بلادي يا بلادي لك حبي وفؤادي وتقهقه وتميل على كتف الشاعر ويسقط شعرها على صلعته ..

(لماذا لا تندغمين في هذه الاشياء؟؟ اصوات الجوقة ترتل جملا لا يربطها رابط ، تماما كشعر هذا القنفذ الاصلع وهم يعدون في الهواء واثوابهم مبللة بالدم والعرق .. !!)

فأهز رأسي حتى تعتدل هذه الصورة دون جدوى ، فأمسك بصفيته التي يلقى في اذنيها الشاعر اشعاره المخنثة ويضحكان ، تضرب « صفية » جبهتي متسائلة :

ـ ماذا هنا ؟!

ـ قصة جديدة

ـ عن أي شيء ؟!

ـ عن . عن ... عن ... وابتلع

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ريقي بصعوبة .
ـــ ها .. ها .. ها .. ها
ـــ عن .. ؟!
ـــ ألم تقبض المكافأة ؟!
ـــ وانتم ؟!
ـــ فلماذا تكتب ؟!
ـــ بي رغبة محمومة للكتابة ..
ـــ وفر قلمك لكتابة المنشورات والتوقيع عليها .. !!
ـــ أريد أن اكتب قصة .
ـــ والوطن ؟
ـــ الا تعيشين فيه ؟!
ـــ اني اسألك ..
ـــ ما أشهاك يا « صفية » .
صرخ الشاعر :
ـــ انكم في ضيافتي الليلـــة ..
و « صفية » لي ..
ـــ هل تقبلين أن تنظري في عيني هذا القرد ؟!
احتد الشاعر ، ووقفت بضـــع شعيرات في صلعته وبصق في وجهي وجذب « صفية » التي استسلمت له ولوحت لي : باي ..
ـــ لن تنالها الليلة يا كلب .. !!
وأطبقت على رقبته لاهـثا .. و « صفية » تقهقه وتقهقه وسمـــير ومصطفى يتطلعان الينا ساهمين وأنا اضغط على رقبته وهو يحاول دفعي بكلتا يديه ... و « صفية » تغني : يا بلادي يا بلادي ..

مسافة بين الماء والنهر



حسن قطب النجار

حاملا من ثراها مسافات وجد وابريق ماء
وزوادة من شعير التلاغي ،
نقوشا على الصدر يفتحن نافذتي اذ يغيب القمر
فاعصر قارورتي ،
فتسيل على شجر الافق ريح السفر
سائلا عن بـــلاد ،
هويتها تتخلق عبر قصاصات ناري
(جدائلها من شعير التغرب ،
أثداؤها من عجين الخرافة)
فاسند وجهي على سعف الليل ،
اطعم غلمـــان قلبي ،
ففي الخرج زاد المسافة .
وجهها كان بين المداخل والسهل ،
يسألني عن طعام الجســـد .
فالف بها وادور ،
لعل المسافات يسعفن ذاكرتي ،
فاقص لها عن سرير الرياح اذا التحم الافـــق بالعين ...
يا مهرتي أصعـــدي
فالـــدى سيـــدي
والرحيل اشتهـــاء .

★ ★ ★

نجمـــة في جرابي
تحسستها ،
فتهجيت اسمي وراء حروف الهواء
قلت فلنبـــدأ الآن فصل الغناء :
(وجهها كـــان بين الزوايا
غابة من ثمـــار الحنايا
وجهها كان بين المداخل والنهر ،
شمس البرايا
وجهها كـــان ...)
ادخل في ورق الليل ،
يلمع في لبـــدة الريح وجهي ،
فيلبسني النجم ثوب المسافـــات ...
اصرخ يا مهرتي الهائمـــة
فلنعـــد ، فالمسير الطويل
سوف يسلبنا قمر الخاتمـــة .

★ ★ ★

وجهها كان بين المداخل جميزة غائبة
شربت ظلها ،
فاستطال النهار على كتف المهرة المتعبة .

حسن قطب النجار
ـــ القاهرة ـــ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



قصائد عن حب لا يعرف الرحمة

الديوان الرابع لعبد اللطيف عقل

صدر هذا الديوان عن منشورات صلاح الدين في القدس وللشاعر ثلاثة دواوين شعرية : شواطىء القمر ، أغاني القمة والقاع ، هي أو الموت .

وقد ضم هذا الديوان مقدمة نثرية تحدث فيها الشاعر عن « فعل الشعر بين الموقف والموقع » يقول الشاعر في هذه المقدمة :

« رفيقي القاريء

لا تقراني ولكن تقراني فان الزهور على عهدها تمارس فعل النمو والطيور فعل العطاء . الزيتون منذ كان الزمن وهو يفعل العطاء ، تماما كما تفعل العطاء والبشر النوارس وأقواس القزح .

« الاطفال هنا يفعلون الوعود والابتسامات ، كما يفعلون الدموع والحزن ، كل شيء هنا مستغرق في دائرة الفعل ، نحن هنا لا نفكر ولا نتأمل ولا نحلل اننا نفعل كل هذا » ويستمر الشاعر في الحديث ليؤكد أن كل ما في الوطن مستغرق في دائرة الفعل على طريقته الخاصة : الفلاح لا يعرف سوى الفعل ، والناس تفضل الموت ، كما تفضل الحياة نصفا بنصف) والشاعر هنا يطرح انتماءه الى الجماهير فهو واحد من هذه الجماهير ، والشعر لم يعد لديه مجرد كتابة عبثية او ترف فكري لم يعد الشعر شيئا ثانويا في المعركة بل هو شيء اساسي لذا تصبح كتابة الشعر فعلا ، « وانا مثل كل هؤلاء أمارس فعل الشعر ، انا لا اكتب الشعر ولا اقرؤه ، انني افعله تماما كما يفعل اطفال فلسطين العابهم من الطين والحزن ، انني في موقف الفعل لانني في موقع التراب الاول .. ولك بعدها ان تحلل فعل الشعر كما تشاء » .

ثم يتحدث الشاعر عن درجة فعل القصيدة ، فيؤكد ارتباط فعل القصيدة بالوطن ومن في هذا الوطن بالفلاحات وتلميذات المدارس ، الزيتون ، المطر ، الاطفال ، والصيف . « انني أمارس فعل القصيدة يوم تفعل طبيعتنا الجمال وأترك الاصوات تندرس في روحي وعلى الورق .. هنا افعل الفرح أو الغضب أو الرفض بالشعر » والذي يهم الشاعر هنا هو أن يوصل شعره الى الجماهير « ولا يهمني اني أتقدم أو أتأخر او انحرف يمينا او يسارا لان ممارسة الفعل تفرض الحركة الحرة ، وانسى تسميات النقاد » .

ثم ينتقل للحديث عن « درجة فعل الشعر » فيؤكد على أن الذي يبعث في نفسه الشعر هو الوطن : مدنه وقراه ، كل شيء فيه ، يقول : « في درجة فعل الشعر يندغم التاريخ في لحظة وتصير الاماكن كأنها محشورة في نقطة بين جامع الجزار وسوق البصل .. » ... ان أي فنان أصيل لا يستطيع أن يزيف موقفه كفنان ، لان قانون موقعه لا يرحم .. انني اسير الابتسامات العفوية على شفاه الاطفال المنعوفين على الطرقات من رأس الناقورة الى رفح ، هنا يكون لفعل الشعر مذاق الموت ، ان فعل الشعر هنا معتق وعمره عمر الزمن الساكن في حارات عكا ... فعل الشعر يوحدنا بالاحداث من الطلوع الى المغيب ولا يترك لنا فرصة التبويب والتحليل » وهنا يصبح الشعر البؤبؤ الذي به الرؤيا «لست شاعرا حديثا ولا قديما لست رومنسيا ولا واقعيا ، لست ذاتيا ولا موضوعيا لان فعل الشعر يحتوي كل هذا

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويصير البديل » .

وعبد اللطيف عقل وبعد أربعة دواوين استطاع أن يكون لنفسه شخصية شعرية خاصة ، لقد صهره فعل الشعر تماما وعذبه هذا « الحب الذي لا يعرف الرحمة » هذا الحب الذي قال عنه التاريخ وقالت عنه السياسة انه مات له قلب كبير كبير جدا يتأبى على الموت ويرفض الاخرين كما يرفض التراب الاصيل البذور اللقيطة . انه الرفض في كل شيء . ان القدس على الرغم من انها مذبوحة الشفتين حائلة الطلاء وحزينة العينين ، تلتقي مع الشاعر في فعل الرفض : ـــ

«سور القدس محمول على الرفض المعلق
في حنايا التين ـــ »

الرفض شيء ملموس في كل قصائد الديوان ، انه يرفض الحزن ويستولد بالصمت الكلام وغزة عند الشاعر عنوان الرفض ، انها من تحيل الرفض الى فعل . الرفض يحترق فيه روحا وكيانا هو يريد أن يكون نخلة فرعاء في عيني غزة ، كي يتعلم الرفض . والشاعر يرفض لانه ملتزم بهذا الحب الذي لا يعرف الرحمة ، من هنا نراه يرفض الحب الذي لا يتجاوز الكلمات ، انه يريد لحبه ان ينتقل الى دائرة الفعل ، كي يكون التزاما وتضحية : ـــ

« من دمي
يرتد هواها فحبي
جسد جامح ونكسر حزين » .

وفي اكثر قصائد الديوان مناجاة لسلمى ، وسلمى رمز لفلسطين ، ففي قصيدة بعنوان « مقطعان » . يكون عنوان المقطع الاول « سلمى » أن سلمى غائبة عن الشاعر فهو ينام على طوى الوجد ، ويحلم بها ، ان غيابها يقلب الاشياء وفي القصيدة حوار معها ، انه يخاطبها بقوله :

« وأعرف حين أكتب عنك
ان الليل يحسدني
وأن الحرف يذبح قلب هذا الزيت
ـــ مر عليك هولاكو . ـــ
هو السيف الذي صدئت ثناياه . »

باختصار هذا هو ديوان عبد اللطيف عقل الجديد ، ويعتبر الشاعر من ابرز الاصوات الشعرية التي ظهرت في الضفة الغربية المحتلة . ويقف انتاجه على رأس الانتاج الشعري هناك .

أخبار قصيرة

● صدر في شهر حزيران الماضي عن منشورات صلاح الدين في القدس ديوان شعري بعنوان نقوش على جدار الوطن للشاعر علي الصبح وقد اخترنا هذه الابيات من قصيدة (صامد) : ـــ

« خلفي اشباح
قدامي أخيلة الموت
المحها
تتقدم نحوي
وأنا
يا وطني الغالي
صامد
غير مبال
عاصفة وتمر
وأعرف عنواني
ظلمك يا نيرون
ليس بدائم
من خلفك ألمح
رف نسور
قادم
من قلب الصحراء
يكتسح الليل الجاثم
من حولي
... من عدة أعوام
يحمل لي
بشرى وخلاص
يحمل هذا الحكم : ـــ
مالك يا نيرون
مناص . »

● وقد صدر ديوان اخر للشاعر محمد حمزه غانم بعنوان « وثائق من كراسة الدم » وقد قسمه الى الاقسام الستة التالية : الهجرة الى الوطن الراعف ، قصائد العشق والموت ، خمس قصائد مرموقة ، أعمدة الفصول المنهارة ، وثائق ، من كراسة الدم ، قصائد السقوط والتخطي .

● « أن نحيا مع الفلسطينيين » هو عنوان كتاب جديد صدر في القدس لمؤلفه « الياهو الياشار » وسنعرض له في الرسالة القادمة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مكتبة البيان

« أمل .. اغنية قبل الموت »

شعر : فيصل السعد

الناشر : وزارة الاعلام - بغداد

عرض : عبد اللطيف الخطيب

انها اغنية ، لا اقول تبعث على النشوة ، بل على الارتجاج فالصحو الذي يقود الخطى عبر دروب بدائنا نتحسس معالمها ، بعد ان كدنا نموت في ازقة الحزن والضياع .

الكلمات هنا تدرك غاياتها ، وموقعها ليس ذلك البرج العاجي الذي يندحر فيه انتاج كثير من ادبائنا امتنا ، وانما تتقدم لتعطي صورة صادقة لتبدل مشاعر الانسان العربي ، وعلى امتداد الرؤيا : جراحات هذه الامة وامالها المطعونة .

الشاعر هنا يرفض الصورة القميئة المشوهة للانسان العربي القابع في سراديب الزمن المنسية :

« ما للانسان يجيء .. يكبر ينمو .. يمشي ، يصرخ
ولكن لا يشعر انه جاء ؟ » .

والانسان الذي يريده :

« الآتي المنقذ لو يأتي ،
من منا يدركه في الدرب ، حصان ادهم
يخترق الصمت
وجبينه شمس حزيران
من يدرك أن الآتي هو الانسان ؟ » .

فالانسان العربي هو محور اهتمام الشاعر في جميع قصائده الاربع عشرة التي اودعها ديوانه الثاني هذا . والوجود العربي يشغله ويخشى عليه مما يتهدده ، وهزيمة حزيران ١٩٦٧ لم تكن الاولى ولن تكون الاخيرة ما دامت الصورة قاتمة للحاضر العربي :

« لكني لا زلت أسأل حاضري
عما يباع ويشترى
من عمر احبابي المبعثر بين غربته وشوقه للتراب
أواه ما أقساك يا جرح الاحبة يا عذاب
أواه ما أحلى جبينك ،
يرسم الماضي ويركل حاضري كي يستفيق » .

ولكنه الفجر الآتي يوقظ في النفس آمالها :

« هو نصر القلب ،
نصر الروح ،
نصر الدم ... ات »

وجاء الفجر :

« وجاء الدوي الذي يوقظ الاعين الغافية
على كومة الحزن ،
جاء الخلاص
نهضت ..
وعانقت صحوتنا الآتية
من العمق ،
لملمت بقايا الرصاص
وقلت : لقد حان وقت الرجوع
لارضي التي ملئت العمر بعد الركوع » .

لكنه نصر لم يصل للقرار ، توقف هناك امام الخيام الغريبة ، امام الجسور المتعبة في انتظار ان يأتي الفارس من هناك ..

وبالرغم من كل شيء فشعلة الامل لن يخبو ضوؤها في وجود امتنا ، فالسواعد السمر قادرة ابدا على ان تصنع تاريخنا من جديد :

« يا أنت يا أملا ينام على جروحي
اني يئست ولم اجد من يشتري بالصمت روحي
والآن حين وجدتك ائتلقت سمائي .
وعرفت أن الحب مائي
اني احبك .. هل عرفت ؟ .
وهل عرفت بأن زاد الجند موتي ؟ .
وموت العاشقين لارضهم ،
ما مات من صنعوا العلا » .

انه التزام الكلمة : صدقها ، حبها للضوء ، عشقها للارادة الخيرة : للعطاء .

●●●

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية

تأليف : ت . م . جونستون
ترجمة : د . احمد محمد الضبيب

الناشر : جامعة الرياض

عرض : عبداللطيف الخطيب

اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي الى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع افراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة اوسع واشمل تضم عدة لهجات ، لكل منها خصائصها ، لكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال افراد هذه البيئات بعضهم ببعض ، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث، فهما يتوقف على قدر الروابط التي تربط بين هذه اللهجات . (١) وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة .

وعلى هذا فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي علاقة بين العام والخاص فاللغة تشتمل على عدة لهجات لكل منها ما يميزها . وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات .

وهذا يصدق على اللغة العربية ، حيث يتفق الباحثون على انها كانت في عصر الجاهلية القريبة من الاسلام على مستويين : مستوى شعبي يتمثل في لهجات الخطاب السائدة بين ابناء الجزيرة في بيئاتهم المختلفة . ومستوى رفيع يتمثل في لغة ادبية فصحى اتخذها الصفوة من ادباء الجزيرة وبلغائها وفي مختلف ارجائها ، وصدروا عنها في اعمالهم الفنية من شعر ونثر ، فصيغت فيها قصائدهم وحيكت خطبهم وحكمهم . وعندما نزل القرآن الكريم باللغة الفصحى ازدادت رسوخا في اذهان الناس واحتراما في نفوسهم ، فعاشت بين العرب والمسلمين تتردد في مختلف العصور والبيئات ، لغة الثقافة والعلم والادب ، وسفيرا بين الاجيال يربط حاضرها بماضيها ، ووسيلة رائعة من وسائل الاتصال بين العرب في مختلف بيئاتهم واماكنهم، حيث يتكلم كل منهم لهجته المحلية .

لماذا تنشأ اللهجات ؟

تنشأ اللهجات عادة لعدة اسباب منها :

١ ــ **اسباب جغرافية :** وذلك حينما يعيش ابناء اللغة الواحدة في بيئة جغرافية واسعة تختلف الطبيعة فيها من مكان لمكان ، كأن توجد جبال او وديان تفصل بقعة عن اخرى بحيث ينشأ عن ذلك انعزال مجموعة منهم عن المجموعة الاخرى الامر الذي يؤدي مع الزمن الى وجود لهجة تختلف عن لهجة ثانية تنتمي الى نفس اللغة .

٢ ــ **اسباب اجتماعية :** فالمجتمع الانساني بطبقاته المختلفة يؤثر في وجود اللهجات ويلتحق بذلك ما نلحظه من اختلافات لهجية بين الطبقات المهنية .

٣ ــ **احتكاك اللغات واختلاطها** نتيجة غزو او هجرات او تجاور . وهذا الاحتكاك او الصراع اللغوي يعد من اهم الاسباب التي تؤدي الى نشأة اللهجات .

٤ ــ **اسباب فردية :** من الحقائق المقررة ان اللغة مع انها واحدة الا انها متعددة الافراد الذين يتكلمونها . ومن المسلم به انه لا يتكلم شخصان بصورة واحدة لا تفترق (٢) . واختلاف الافراد في النطق يؤدي مع مرور الزمن الى تطوير اللهجة او نشأة لهجات اخرى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اللهجات العربية القديمة

والعوامل التي ساعدت على وجود اللهجات العربية في شبه الجزيرة العربية لا تختلف عن هذه الاسباب التي ذكرنا ، فالبيئة الجغرافية واسعة ممتدة ، وتختلف الطبيعة فيها فيتصل بعض بقاعها وينفصل بعضها الاخر ، ففيها التهائم والنجود والمسايل والوديان ، وفيها المناطق الصحراوية التي يعيش فيها البدو وفيها مناطق الاستقرار والتحضر حيث يوجد شيء من زراعة او نصيب من تجارة .

وفي هذه الجزيرة حدثت هجرات بشرية حدثتنا عنها كتب التاريخ والانساب ، هاجر من هاجر من اهل اليمن الى وسط شبه الجزيرة وشرقيها وشماليها ، وهاجر من هاجر من اهل الحجاز الى اليمن . وتجاورت لهجات مع لهجات ومع لغات اخرى ، فلهجات القبائل العربية التي كانت تنزل بادية الشام او العراق مثلا كانت تجاور لغات كالارامية والفارسية ، والاحتكاك معها ادى الى ظواهر لهجية (٣) .

دراسة اللهجات عند العرب

قلنا ان ما بين اللهجة واللغة هو ما بين الخاص والعام او بين الفرع والاصل ، لكن العرب القدماء حين كانوا يشيرون الى تلك الفروق بين لهجات القبائل لم يستعملوا مصطلح « اللهجة » على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي الحديث ، بل انهم لم يستعملوه قط في كتبهم ، وغاية ما هو موجود ما تردده معاجمهم من ان (اللهجة) هي اللسان او طرفة او جرس الكلام ، ولهجة فلان لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها (٤) . وانما كانوا يطلقون على اللهجة (لغة) او « لغية » ، ولعل ذلك راجع الى انهم لم يتوفروا على دراسة لهجة كاملة من لهجات القبائل التي كان يتكلمها الناس في حياتهم العادية ، بل كل ملاحظاتهم انما تنصب على هذه الفروق اللهجية التي دخلت الفصحى.

ونحن لا نعرف كتابا واحدا تخصص في دراسة اللهجات العربية القديمة لكن علماء العربية سجلوا بالرغم من ذلك قدرا كبيرا من ظواهر هذه اللهجات وتطرقوا اليها في بحوثهم ودراساتهم التي كانت داخلة ضمن دراسة اللغة العربية الفصحى .

واهم مؤلفاتهم التي اختصت اللهجات بالذكر تلك التي اطلقوا عليها كتب اللغات ، واقدمها « كتاب اللغات » ليونس بن حبيب (ت ١٥٢ او ١٨٢هـ) وتبعه عدة كتب بنفس الاسم منسوبة الى ابي زياد الفراء وابي عبيدة معمر بن المثنى وابي زيد الانصاري وينسب اليه ايضا كتاب في لغات القرآن . ومن تلك الكتب ايضا « كتاب اللغات » للاصمعي و « اللغات » لابن دريد و « ما ورد في القرآن من لغات القبائل » لابي عبيد القاسم بن سلام الهروي و « كتاب اللغات في القرآن » رواية اسماعيل ابن عمرو بن حسنون المقرىء عن ابن عباس ، « وكتاب اللغات » لابن بري .

ولم يصلنا من هذه المؤلفات الا رسالتان : الاولى رسالة ابي عبيد القاسم بن سلام « ما ورد في القرآن من لغات القبائل » والثانية « كتاب اللغات في القرآن » .

ونستطيع ان نتبين بعض طرائق كتب اللغات التي لم تصلنا مما نقله بعض اللغويين ، اذ ينقل ابن دريد في كتابه الجمهرة من كتاب اللغات لابي زيد « انه ليأخذ في كل فن وسن وعن اي في كل وجه » . « ويقال النَكر والنُكر والفَكر والفِكر والفِكرة ويقال سَرَق سرْقا وسرَقا وسرِقا» . ويقال انتقع لونه وانتقع واهتَقع والتمع والتهم وانتسف » (٥) . « ويقولون مت ومت ودمت ودمت ، فمن قال مت قال يمات ، ومن قال دمت قال يدام يدام واكثر ما يتكلم به طيء (٦) .

ومن هذه النصوص التي ينقلها ابن دريد يتضح لنا ان هذه الكتب كانت نوعا من المعاجم وان مؤلفيها لم يكونوا يهتمون الا في القليل بعزو اللهجات الى اصحابها .

وتعتبر المعاجم بطبيعة مادتها مصادر هامة للهجات ، ولكن كثيرا منها لم يهتم بعزوها الى قبائلها . فصاحب اللسان مثلا لا يكاد يذكر الا قليلا جدا من لهجات القبائل ، بل انه يكتفي بقوله « لغه فيه » او « عند بعض العرب » .

والمعجمان اللذان يعتبران مصدرين هامين للهجات وبخاصة لهجات اليمن هما :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ ــ الجمهرة لابن دريد وتنتشر فيه ثلاث وعشرون لهجة اكثرها من اليمن . والغريب انه لم يذكر من لهجات قبيلة الازد الا سبع عشرة مادة .

٢ ــ شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري ويعتبر هذا المعجم اهم مصدر لدراسة اللهجات اليمنية (٧) ، اذ لا تكاد تخلو صفحة فيه من لهجة يمنية .

وهناك ايضا المعاجم الخاصة التي تجمع مادة لغوية في موضوع واحد اذ أن اصحابها يهتمون باللهجات مثل ما نجد في كتاب « البخل والكرم » للاصمعي ، وفي كتاب « المطر » لابي زيد وفي كتاب « الرحل والمنزل » لابي عبيد .

ومما يعتد من المعاجم الخاصة ايضا ما جاء في « المشترك » و « المترادف » و « الاضداد » .

وهناك ايضا كتب النوادر التي تعتبر مصدرا طيبا لدراسة اللهجات . وبين ايدينا كتاب النوادر لابي زيد الذي نجد فيه مادة خصبة لهذه الدراسة . فهو كثيرا ما يعزو اللهجات الى اصحابها . فاذا فقدنا هذا العزو وجدناه في تحديده لقبيلة الشاعر .

أما الامثال فان دراستها تفيد الدرس اللهجي أيما افادة . لان الامثال لغة الشعب التي يطلقها فور الحدث دون تصنع ، وهي من هنا تعتبر مرآة صادقة للهجة .

أما النحاة الذين اهتموا باللهجات اهتماما كبيرا فهم اولئك النحاة المتأخرون مثل ابن مالك وشراح الفيته والرضى الاستراباذي والسيوطي . ويعتبر ابن جني أقرب اللغويين العرب الى الفهم الصحيح للدرس اللغوي ، فهو يعقد في خصائصه بابا عن « اختلاف اللغات وكلها حجة » يتحدث فيه عن المفاضلة بين مواد اللهجات العربية، ويضع ــ على طريقته الفذة في المعالجة ــ اسسا واضحة في هذا الشأن . فهو يرى أن اللغتين اذا كانتا في الاستعمال والقياس متدانيتين متراسلتين « فليس لك ان ترد احدى اللغتين بصاحبتها ، لانها ليست احق بذلك من رسيلتها، لكن غاية ما لك في ذلك ان تتخير احداهما فتقويها على اختها وتعتقد في اقوى القياسين اقبل لها واشد انسا بها ، فأما رد احداهما بالاخرى فلا . أو لا ترى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « نزل القرآن بسبع لغات وكلها كاف شاف » (٨). ويضرب لهذا مثلا باختلاف اللهجتين الحجازية والتميمية في اعمال «ما» وترك اعمالها .

ثم يتحدث ابن جني عن اللهجات الضعيفة القياس ، او القليلة الرواية ، ويرى ان يؤخذ في هذه الحالة بأوسع اللهجتين رواية ، وأقواهما قياسا ، ويضرب أمثالا على ذلك بما ورد عن بعض العرب من ظواهر لغوية كالعنعنة والكسكسة والتلتلة والكشكشة ، والتضجع ونحو ذلك ، ولكنه يعقب على ذلك بقوله : « وكيف تصرفت الحال ، فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء وان كان غير ما جاء به خيرا منه »(٩).

ومن مؤلفات العرب القدماء التي تضيف معلومات قيمة الى دراسة اللهجات القديمة تلك الكتب التي ألفت لتنقية اللغة ، وكانت تلقي اضواء على لهجات سكان المدن ، فتصلح ما فسد من السنتهم وتقوم ما اعوج منها ، وهي الكتب التي الفت في لحن العامة والخاصة .

واذا كانت هذه الكتب قد استهدفت اصلاح غلط العامة فيما ذهب اليه في مختلف البلاد الاسلامية، فقد وجدت هنالك كتب اخرى تنتصر للعامة وتصوب بعض استعمالاتها ، وتحاول أن تثبت الوشائج بين ما تستعمله العامة وما استعمله العرب القدماء «ككتاب بحر العوام فيما أصاب فيه العوام» لرضى الدين ابن الحنبلي و « القول المقتضب فيما وافق لغة اهل مصر من لغات العرب » لابن ابي السرور البكري .

وهكذا فاننا نجد أن كثيرا مما سجله القدماء من مواد اللهجات العربية قد دخل ضمن دائرة الفصحى التي حددوها لها . ومعروف ان جل المواد اللغوية الفصحى قد جمعت من قبائل معينة ، رضي عنها اللغويون العرب القدماء واستفصحوها،لهذافقد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أغفلت دراساتهم كثيرا من اللهجات العربية الاخرى ، لانها في نظرهم لم تكن فصيحة ، وبهذا لم تكتمل الصورة التي كانت عليها حال اللغة العربية ابان عصر الجمع والتدوين .

دراسة اللهجات العربية في العصر الحديث

بدأت دراسة اللهجات في العصر الحديث على أيدي المستشرقين وذلك ضمن النشاط الكبير الذي قام به هؤلاء للبحث في احوال امم الشرق وتراثها وحضارتها .. ومنذ القرن التاسع عشر اخذ عدد من المستشرقين يسجلون ويدرسون نماذج اللهجات العربية الحديثة في مناطق مختلفة من العالم العربي ، وقد حظيت اقطار الشمال الافريقي وسوريا وفلسطين والعراق بالجهد الاكبر من هذه الدراسات ، وذلك لسهولة وصول الباحثين اليها وتكاثرهم فيها ،وجاءت هذه الدراسات اللهجية في انماط مختلفة ، فكان منها كتب المعاجم ومنها الدراسات الوصفية ومنها كتب تعليم اللغة للاجانب وكتب النصوص.

أما الجزيرة العربية ، فلم تصادف لهجاتها عناية كبيرة من الدارسين حتى عصر النهضة الحديث ، فقد كانت تقف أمامهم في الماضي عقبات كثيرة . وقد انصب اهتمامهم أول الامر على اطراف الجزيرة ، فوجدنا ابحاثا تتناول لهجات اليمن والخليج العربي .

لكن معظم أعمال هؤلاء المستشرقين القدماء كانت تقوم على جمع المادة ودراستها بطريقة تقليدية ، وكانت في معظمها تتميز بالخلط وكثرة الاخطاء ، اذ لم تكن الدراسات اللغوية قد تقدمت ، ولم تكن وسائل التسجيل والملاحظة والقياس قد تطورت الى ما نراها عليه في الوقت الحاضر .

أما الان فاننا نجد في الغرب دراسات متطورة جديدة ، فقد اصبح البحث اللغوي علما معقدا يستفيد من الرياضة والعلوم الاخرى بشكل كبير ، ويعتمد على استخدام المعامل والمختبرات والتجارب اكثر من اعتماده على الناحية النظرية . وفي كثير من الجامعات الاوروبية والامريكية دراسات متطورة للهجات البلاد العربية . وتحظى الجزيرة العربية بقسط كبير من هذه الدراسات لما في لهجاتها من اتصال وثيق بالعربية الام واحتفاظ بخصائص لغوية نادرة لم تعد توجد في لهجات الاقطار الاخرى .

هذا عن اعمال المستشرقين القدماء والمحدثين ، أما في البلاد العربية فقد كان البحث اللغوي الى وقت قريب مصابا بالركود والجمود ، فكان هم العلماء العرب يتلخص في شرح المتون ، ووضع الحواشي لهذه الشروح ، واكتفوا بتعلم اللغة ودراستها على هذه الشاكلة ، دون البحث في اسرار الوظيفة اللغوية ولا تعليل لظواهر اللغة .

ولقد أحدثت الدعوات الضالة التي قامت خلال هذا القرن والذي قبله لجعل العامية لغة للكتابة والثقافة(١٠) شكا لدى بعض الفضلاء من الغيارى على العربية الفصحى ، خوفا من أن تكون دراسة اللهجات وجها آخر من وجوه محاربة الفصحى ، التي روج لها بعض المستشرقين وغيرهم من امثال وليم ولكوكس واضرابه من العرب المنفصلين عن التراث وأصحاب الاقليميات الضيقة .

وتحطمت تلك الدعوات المشبوهة على صخرة الفصحى الصلبة العملاقة وحكم عليها وعلى كل محاولة أخرى مماثلة بالفشل لعدة اسباب نذكر منها :

١ ــ انه ليس في مقدور احد من الناس ان يفرض لغة على أمة أو أن يؤثر في مسارها اللغوي ، فاللغة كائن حي متقلب متطور بفعل مؤثرات اجتماعية وثقافية وبيئية .

٢ ــ ان هذه الدعوات الضيقة القائمة على المحلية هي دعوات منفصلة عن رغبات الشعوب العربية والاسلامية التي يجمعها الاسلام ويوحد بينها القرآن ، وهو الذي صان هذه اللغة طوال العصور حتى تلك العصور التي عم فيها الظلام والجهل .

٣ ــ ان سهولة اتصال العرب بعضهم ببعض في الوقت الحاضر وانتشار التعليم في كل صقع من اصقاع بلاد العروبة قد سهل للعرب الاتصال فيما بينهم على صعيد الفصحى ، وظهرت بينهم لغة ثالثة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليست هي العامية المحلية وليست الفصحى القديمة ، وانما هي نوع يقترب من الفصحى ويبعد عن المحلية .

ولهذا فان تلك الدعوات الضالة تتعارض مع سنة التطور والنمو التي تسير عليها اللغة العربية .

والحقيقة ان لا صلة بين دراسة اللهجات كنوع من النشاط اللغوي في بيئة من البيئات وبين ما يريده اولئك، اذ أن اللغوي يفحص اللغة ولكنه لا يتدخل في مسارها. بمعنى ان اللغوي الحديث الذي يدرس اللهجات انما يهمه الجانب العلمي من هذه اللهجات ليتوصل من دراسة قوانينها الى حل لبعض المشكلات اللغوية ، او ليجعل من دراسته سجلا وصفيا لحال اللغة في بيئة من البيئات في عصر من العصور ، فيكون بعمله هذا قد رصد هذه اللغة في فترة من فترات التاريخ اللغوي .

ومن هذا المنطلق اخذ العلماء العرب المحدثون يدرسون اللهجات ويحللونها ، وقد بدأ ذلك مجمع اللغة العربية في القاهرة اذ نص نظامه الصادر عام ١٩٣٢ على « ان من أغراض المجمع أن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية » .

ومن الطبيعي أن يجد الباحثون المحدثون بغيتهم في دراسة اللهجات في الجامعات الغربية الاوروبية والامريكية وذلك لوفرة الاستعدادات في هذه الجامعات مما يعين الدراسة في هذا المجال . فوجدنا كثيرا من الموفدين العرب يقدمون الاطروحات في لهجات بلادهم . ولعل الباحثين المصريين اسبق الدارسين الى البحث في اللهجات على اسس علمية حديثة. ثم توالت الرسائل العلمية التي قدمها الباحثون من مختلف انحاء الوطن العربي في جامعات اوروبا وأمريكا .

ثم اخذت جامعات العالم العربي تهتم بدراسة اللهجات فقدمت اليها رسائل عديدة عن لهجات كثير من البلاد العربية ، كما ظهرت الى جانب ذلك مؤلفات عدة في اللهجات العربية خارج نطاق الرسائل الجامعية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا الكتاب

يعتبر هذا الكتاب الذي يقع في ٣٦٥ صفحة احد الكتب الحديثة التي الفت في عربية جزء مهم من اجزاء الجزيرة العربية ، ذلك هو شاطىء الخليج العربي . وهو دراسة مبتكرة تستهدف الكشف عن خصائص اللهجات في ساحل الجزيرة العربية الشرقي : من الكويت شمالا حتى عمان جنوبا ، تصف الوضع اللغوي في هذه المنطقة وتسجله بدقة ، وتقف عند الظواهر وتناقشها ، ثم توازن بين ظهورها في هذه البيئة وظهورها في البيئات الاخرى .

والكتاب بهذا تسجيل صادق لعربية الخليج العربي في فترة من اهم فترات تاريخه ، هي فترة التحول الخطير من الحياة الملاحية التي كانت تتخذ الغوص على اللؤلؤ مصدرا من مصادر التجارة والمعيشة الى الحياة الحديثة التي اثر فيها اكتشاف الزيت والانتفاع به تأثيرا كبيرا ،وهي مرحلةالانطلاقة نحو الحياة الحضارية الحديثة .

والمؤلف في هذا الكتاب يحرص على اللهجة التقليدية يتصيدها من أفواه المخبرين اللغويين ، ولكنه في كثير من الاحيان يبحث عنها فلا يجدها، لا بسبب ندرتها بين الناس ، ولكن بسبب ان المتكلمين لم يعودوا يعترفون بها ، وانما يفضلون عليها اللغة العربية المشتركة التي تقترب من الفصحى السهلة ، ولذلك فالكتاب يوقفنا على حقيقة علمية تسير اليها البيئات الاخرى في الجزيرة العربية سيرا حثيثا ، الا وهي الاتجاه القوي نحو اللغة المشتركة التي يلتقي حولها العرب جميعا في مختلف اقطارهم .

لقد شملت دراسة المؤلف كافة اقطار الخليج العربي عدا الاحساء وعمان ، وهو بهذا يغطي مساحة كبيرة لا نعرف احدا سبقه اليها . وهو يتعرف على هذه اللهجات في بيئاتها المحلية محاولا تحديد الفروق وحصر السمات اللغوية المشتركة بين هذه اللهجات . وقد قسم كتابه الى مدخل واربعة أقسام :

المدخل : ذكر فيه لمحات عن تاريخ منطقة الخليج العربي واقتصادها ،

وما فيها من اختلاط سكاني ، كما تحدث فيه عن الدراسات اللغوية السابقة لهذا الجزء من الوطن العربي . ثم تحدث عن طريقته في ترتيب المادة ومنهجه في احكامه :

الباب الاول : تحدث فيه عن الخصائص العامة التي تلاحظ في لهجات الساحل الشرقي للجزيرة العربية .

الباب الثاني : تحدث فيه عن « التشكيل الصوتي للهجات » ناظرا الى صوتيات هذه اللهجات ثم مفصلا القول في كل لهجة على حدة .

الباب الثالث : عالج فيه « صرف هذه اللهجات » على نفس النمط الذي اتبعه في دراسة الاصوات .

الباب الرابع : درس فيه « نحو هذه اللهجات » وقد خص فيه كل لهجة على حدة .

ولقد حاول الاستاذ الضبيب في ترجمته لهذا الكتاب أن يعطي القارىء ما يقصده المؤلف بأسلوب واضح لا تنميق فيه ولا جفاف . كما حاول أن يجعل لهذا العمل وجها عربيا ، عن طريق تطبيق المصطلحات العربية التي ألفناها في كتب النحو العربي ، وتغيير المصطلحات الاجنبية التي صادفها اليها . ومع ذلك فقد اضطر في كثير من الاحيان الى ان يبقي على تقسيمات المؤلف وتسمياته ، وتصوره لقواعد اللغة ، وهو تصور متأثر الى حد ما بالنحو الاجنبي ، وذلك في الحالات التي لم يجد بينها وبين مصطلحات النحو العربي مشابهة او موافقة .

جهد فيه فائدة وعون للباحثين والعلماء الذين يشتغلون في الحقل اللغوي . دراسة ميدانية تحوز على الاعجاب والتقدير .

عبد اللطيف الخطيب

(١) د. ابراهيم انيس : في اللهجات العربية
(٢) فندريس : اللغة (ترجمة الدواخلي والقصاص) القاهرة ١٩٥٠ .
(٣) د. عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية .
(٤) الجمهرة : الصحاح : اللسان (لهج)
(٥) ابن دريد : الجمهرة ٤٧٢/٣
(٦) السابق ٤٨٤/٣
(٧) د. عبده الراجحي : اللهجات العربية في القراءات القرآنية .
(٨) الخصائص ١٠/٢
(٩) المصدر نفسه ١٢/٢
(١٠) د. نفوسة زكريا سعيد : تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر

